اللوح

مجلة تربوية علمية ثقافية . تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة

الخطاب التربوي في الحظرة الموريتانية

منزلة البحث اللغوي في تصنيف العلوم عند العرب

الوقاية من الايدز والامراض المنتقلة جنسيا

الاعلام والتغير الثقافي في موريتانيا

•• العـــدد 12 •• يوليو . اغشت 1997 •• الثمـــن : 200 اوقيـــة ••

الموكب الثقافي

مجلة تربوية علمية ثقافية . تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة

ص ب : 5115 هاتف : 54803 فاكس : 52802

في هذا العدد

نظامنا التعليمي في الميزان

الخطاب التربوي في المحظرة الموريتانية.

تعليم المرأة ضرورة تنموية

المغرب والاندلس .. الاتصال والانفصال

عروة الزمان الباهي

منزلة البحث اللغوي في تصنيف العلوم عند العرب

الوقاية من الايدز

الاعلام والتغيير الثقافي في موريتانيا

الاعلام والاسرة

الآراء الواردة في المجلة لاتعبر بالضرورة عن رأي التحرير

•• العـــدد 12 •• يوليو ـ اغشت 1997 •• الثمـــن 200 اوقيـــة ••

المدير الناشر:

اعلي ولد ببوط

رئيس التحرير:

محمد الأمين ولد المنير

المدير الفني

محمد ولد أحظانا

يساعده:

امبارك ولد بيروك
احمد ولد الشيخ
أحمد سالم ولد ببوط

سكرتير التحرير:

أحمد جدو ولد محمد

المحررون:

محمد فال ولد عبد الرحمن
بوبه ولد محمد نافع
الشيخ المعلوم ولد محمد سالم
مريم بنت بكرن
الأستاذ عبد الله السيد
لاله بنت محمد محمود

مصلحة المتابعة والاشتراكات:

سليمان ولد بونه مختار
الشيخ التحاني

الطباعة والاخراج:

Infotex ABAS

سحب المطبعة الوطنية

الإفتتاحية

أحمد محمود ولد محمد
مترجم محلف
Ahmed Mahmoud O/ Mohamed
Traducteur des Impôts
Inspecteur agréé

عزيزي القارئ إن اعتزازنا بلقائك يزداد يوما بعد يوم خاصة وأننا التقينا ونلتقي دائما على الثقة وعلى ألامل بأن يظل العطاء متبادلا عبر هذا المنبر الذي شيدته اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة، وهو منبر ماكان ليرى النورلولا دعم القيادة الوطنية وعلى رأسها فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي احمد الطايع الذي حرص دائما على نشر العلم والمعرفة ومامجلتنا هذه (المكوكب الثقافي) إلا تجسيد لهذا الحرص.

إن مسيرة الموكب الثقافي ستظل متواصلة وستبقى صفحاتها مجرى لانهار المعرفة الرقراقة ينهل منها المتعطشون الي عطاءات التراث البشري الخالد واكتشافات مكنونات هذا الكون الذي تتسع الدوائر المجهولة فيه بقدر مايتسع مجال الكشوفات، وبرهاننا على الاقتراب من الهدف المنشود يبقي مرتبطا بمستوى ردود افعالكم واستجاباتكم وانفعالاتكم بما يقدمه "كتاب الموكب الثقافي" الذين نحرص دوما على تنوع اختصاصاتهم ومشاربهم الثقافية عسى أن نوفر لكم مادة متنوعة وغنية ومتكاملة والعدد الثاني عشر الذي نقدمه لكم اليوم احد هذه الثمرات التي نرجوا أن نكون قد وفقنا في الوقوع على احتياجاتكم ورغباتكم، وتبقى قلوبنا وعقولنا منفتحة لآرائكم واقتراحاتكم وكتاباتكم التربوية والعلمية والثقافية لتجد طريقها الي اخواننا القراء.

أعل ولد ببوط

***

نظامنا التعليمي في الميزان

الأستاذ حرمين ولد اسلم . جامعة انواكشوط

اخترت عنوانا يفترض حكما قيميا، وهو أمر ترفضه المناهج العلمية المتأنية وتقبله الدراسات الفنية الاستعجالية، ومبرر الاختيار ان هذا المقال هو بمثابة دق لنا قوس خطر لعل القائمين على هذا التعليم يتداركونه قبل ان ينجرف في الهاوية. ولكي لايكون حكمي جزافيا سوف أقوم في ثنايا هذا المقال بمحاكمة لهذا التعليم، وهذه المحاكمة ستتم علي أساس معيارين إثنين:

أ – النظام التعليمي الموريتاني في ميزان الاعتبارات التربوية العامة،

ب – النظام التعليمي الموريتاني في ميزان الاعتبارات الوطنية.

وسوف يتم التعامل مع هذين الاعتبارين علي أساس أن التفرقة بينهما مجرد مفصلة منهجية تمكن من إدراك حيثيات الحكم – العنوان ، وتمكن في الوقت نفسه من وضع كل جزئية في إطارها المناسب حتى تتضح الأمور ويعاد لكل ذي دور دوره.

أ– النظام التعليمي الموريتاني في ميزان الاعتبارات التربوية العامة: يتفاعل في التعليم في أي منظومة فكرية جهات أربع لكل واحدة منها خصوصيتها ودورها:

1 – الادارة : ونعني بها الجهاز التشريعي والتنفيذي الذي يشرف علي سير العملية التعليمية ويعطيها بعديها النظري والعملي ويدخل في ذلك سلطة التوجيه والرقابة...

2 – الاطار الميداني: ونعني به المباشرون لعملية التعليم والقائمون بإيصال العلم والمعرفة الي المستهدفين بغض النظر عن وسائل الايصال، وتختلف تسميات هذه الفئة من مستوى تعليمي إلى آخر ومن حيز إقليمي إلي آخر، ولكن المضمون أو المسمى يظل واحدا.

3 –المتعلمون: وهي طائفة بشرية متفاوتة الاعمار والقدرات مختلفة المستويات والتسميات، هي أكثر الجهات حتي الآن حظوة وعناية ولكنها مع ذلك لاتزال أكثرها غوامض وظلمة، لأن تجلياتها لاحصر لها، تختلف من الذكر إلى الأنثى من الطفل إلى المراهق ومن المراهق إلى الراشد.

4 – الوسط الاجتماعي: وقد اخترت عبارة الوسط الاجتماعي علي حساب النظام السياسي الذي يؤطر النظام التعليمي ويحميه، فالوسط الاجتماعي حاضر التأثير في مختلف العناصر الثلاثة وفي الخيط المعنوي الرابط بينها الذي يسمى في قاموس التداول التعليمي البرامج ذلك أن البرامج في النهاية تمثل لقيم المجتمع وتجسيد لمنظومة تجريدية تتقاسمها مختلف الفئات الاجتماعية وتنأى عن الولوج في الحساسيات الخاصة بل تعمل على إذا بتها في قالب جمعي شامل، كما أن البرامج في مستوى ثان استجابة لطموح نظام سياسي يسعى إلي خلق اطرأكفاء.

إن النظرية التربوية الحديثة تنطلق من العنصر الثالث وتعود إليه، ولكنها في العودة تمر بمختلف العناصر الأخرى باعتبارها وسائل لاباعتبارها غايات فالمتعلم ينظر اليه باعتباره:

1 – كائنا تحت الوصاية، وصاية الأسرة فقط (التربية ماقبل المدرسية) أو وصاية الأسرة والمدرسة معا (التربية المدرسية أو الصفية) وهذه الوصاية تختلفت حدة تأثيرها تبعا لاختلاف المستويات والأعمار، لكن التربية تسعى عموما إلي التخفيف من وقعها وجعل المتعلم في المقابل مسؤولا عن نفسه وذلك بغرس احساس بالذات وبالدور الاجتماعي الذي يمكن أن يلعبه في إطار المجموعة التي يعيش فيها وهذا هو موضوع التربية الاجتماعية.

2 – كائنا بريئا وخاصة في المراحل الأولى من العمر وبالتالي يمكن استغلاله وتوجيهه وفق أي وجهة شاءها المربي والمهم ألا يترك في ضياع وحيرة من أمره، لأن شيئا من هذا القبيل سيؤول به الي الشذوذ عن الاتجاه العام للنظام الاجتماعي أو النظام

السياسي.

3 – كائنا هشا ينبغي التعامل معه بحذر ولطف ولباقة حتى لاينكسر عوده منذ صباه وحتى ينمو في الفة وانسجام مع محيطه الخارجي، فعلم تربية الطفل يركز على الجانب النفسي إلي حد تكاد معه تغمض العين نهائيا عن الجانب التعليمي الصرف، فهذه المرحلة هي مرحلة التربية القاعدية.

4 – كائنا متعدد الامكانيات والاستعدادات وعلى المربي أن يرجح فيه أحد الإستعدادات على حساب الأخرى ويعمل في ذلك الترجيح عدة عوامل أهمها الاستعداد الفيزيولوجي والعصبي المتعلم والخيارات الاولية للمربي، وتارة يكون ذلك الترجيح كليا وتارة يكون جزئيا.

5 – كائنا يلعب دورا وظيفيا في الحياة، إماباعتباره عنصرا اجتماعيا مرشحا للقيام بدور اجتماعي في المنظومة الاجتماعية وإما باعتباره إطارا بشريا يهيأ لوظيفة ريادية وابداعية متميزة في إطار احتياجات محددة ومهيكلة.

فلو القينا نظرة على التعليم الموريتاني نجد أن المتعلم يتعامل معه باعتباره شخصا تام الاستعدادات والميولات، ولذا فإن جهات الاشراف لايهمها إلا أن تشبع له ظمأه المعرفي، فهو من الناحية النفسية متروك لجهات غير محدودة تؤطره وترعاه، لأن المدرسة الابتدائية لايتم التمهيد لها بتربية قاعدية.

فالمربي متروك إذن لزاده الاسري والاجتماعي يستنير به في تعامله مع المربّي، وهذا الزاد لايعدوا كونه تراكم اجتهادات مربين لقرون عديدة، وهذه الاجتهادات تؤطرها وتوجهها ابعاد دينية وحضارية، وفي نظري أن الارتجال في هذه المرحلة من التربية او تقليد النظرية التقليدية والاعتماد كلية عليها غير مسموح بهما. فتعليمنا من هذه الزاوية هو تعليم خارج عن ضوابط النظرية التربوية الحديثة خاصة وأن هذه النظرية متطورة ومتجددة، لاتمضي سنة إلا ولها تعامل جديد مع الناحية التربوية للمتعلم وهي تواكب في ذلك تغير آليات التعليم نفسه بدء من الريشة والحبر في التعليم المباشر إلى البريد الألكتروني والطرق المعلوماتية. السيارة في التعليم غير المباشر.

ضف إلي ذلك أن المتتبع الحصيف لإكتتاب المربين منذ سنوات يدرك بداهة صغر سنهم، إذ لايتجاوز معدل الأعمار 19 سنة وعمر كهذا لابد أن يتلقى التأطير التربوي الكافي وإلا فسيترك لمجابهة معركة عسيرة ليس مسلحا لها بالتجربة اللازمة ولكي ألخص ماأوردته مبعثرا أقول إن هناك عوامل ثلاثة تجعل تعليمنا غير منسجم مع المناهج التربوي المعمول بها في العالم اليوم.

أ – غياب تربية ماقبل المدرسة، ولايعني هذا بطبيعة الحال أني أجحد دور حدائق الأطفال الموجودة، ولكنه نظرا إلي قلة عددها وضيف انتشارها ومحدودية قدرة استيعابها يبقى دورها ضئيلا.

ب – غياب تكوين تربوي صلب للمربين

جـ – صغر سنهم وضآلة تجربتهم.

وجماع الأمر أن الاعتبارات الخمسة المذكورة أعلاه المتعلقة بالعنصر الثالث من العناصر الأربعة الواردة في بداية المقال لابد أن تعمق دراستها وتوضع في حسبان الأطراف الثلاثة الأخرى خاصة الأول والثاني.

II– النظام التعليمي في ميزان الاعتبارات الوطنية: نعني بالإعتبارات الوطنية ماسنه المشرع الموريتاني من أهداف وغايات لهذا التعليم منذ أن أخذ الموريتاني ناصية تسييره فقد نص القانون رقم 75023 المنظم للتعليم الأساسي: "يهدف التعليم الأساسي إلى مايلي:

1 – أن يمنح جميع التلاميذ الذين وصلت أعمارهم سن التمدرس تعليما أوليا وتربية مدنية وأخلاقية مستقاه من القيم الروحية للدين الإسلامي الصرف ومتلائمة مع الوسط الطبيعي والبشري الموريتاني.

2 – كما يهدف إلى ضمان التكوين الأولي المستديم للمعلمين القائمين على التعليم الأساسي. 3 – تهيئة التلاميذ وإعدادهم لدخول السلك الأول من التعليم الثانوي الفني والمهني " أما التعليم الثانوي فينظمه القانون رقم 026 / 65 وقد نص في المادة الأولى على مايلي: "يهدف التعليم الثانوي إلى مايلي:

4 – تنمية القدرات الفكرية لدى التلميذ

5 – تنمية مواهبة وأحاسيسه الوجدانية.

6 – تزويده بالمعارف والعلوم التي بها يستطيع أن ينمي قدرة الابداع والخلق لديه

7 – تفتيح ذهنه وعقليته على عصره الذي يعيش فيه وجعله على دراية بمقتضيات الحياة العصرية.

8 – ربطه بمحيطه الاجتماعي وإحلاله موقع المسؤولية في إطار ذلك المحيط وفق منطق انسجام وألفة.

9 – تزويد سوق العمل بالاطار الفني المتوسط والعالي القادر على المساهمة في بناء صرح أمة موريتانية حديثة، ويعني هذا كذلك دمجه في الحياة النشطة والارتقاء به عن مستوي البطالة.

10 – ربطه بالهوية الدينية والحضارية لدولته، مع عقلية منفتحة تقبل الحوار والجديد دون أن يؤول بها ذلك إلي الاستلاب والتنكر لقيمها وعاداتها لأن هذه تبقى هي المرجع الفيصل في كل المثل الأخلاقية والدينية"

هذه باختصار هي مجمل الأهداف التي حددها المشرع الموريتاني للتعليم في مرحلتيه الأساسية والثانوية، ولم نورد الجانب التشريعي المتعلق بالتعليم العالي نظرا إلي عوامل ثلاثة: أولها الفراغ التشريعي في هذا المجال، فما يوجد من تشريعات يتعلق بكل مؤسسة على حدة وليست هناك – حسب علمي – نصوص تشريعية عامة تحدد لهذا التعليم أهدافا خاصة به تميزه عن مراحل التعليم الأخرى، وثانيها كون أهم مؤسسات هذا التعليم (الجامعة) تم إنشاؤها بصورة مرتجلة، إذ لم يمهد لانشائها بدراسة فنية تهيئ الظروف والشروط التي تستطيع فيها الديمومة دون أن تنعكس سلبا على النسق الإجتماعي الذي تتموقع فيه، وثالثها أن هذه المرحلة – قد يكون هذا هو مبرر الفراغ التشريعي – هي استمرار طبيعي للمرحلة السابقة لها فهي تعميق لها.

فأين تعليمنا من هذه الأهداف؟

لايتسع المقام لتتبع تلك الأهداف الواحد منها تلو الآخر لنحاسب تعليمنا على أساس كل واحد منها على حده، وسنكتفي هنا بمحاسبته على أكثرها أهميته في نظرنا وهي الأهداف 9،7،6،1، متبعين في كل الحالات أسلوبا مختصرا.

1 – المراد بالتربية المدنية والأخلاقية هو غرس روح المدنية والخلق الحسن والكريم في ذهن الطفل، أي أن يعني من جهة واجباته إزاء المؤسسة المعنوية التي ترعاه والتي هي الدولة بحيث ينغرس في ذهنه احترامها وتقديسها واحترام وتقديس جميع القوانين والتشريعات التي تسنها حتى يغدو احترامها بالنسبة إليه مسألة فطرية وجلية تظل معه وترافقه طيلة مراحل حياته المقبلة إن قدرت له الحياة، وهذا الاحترام يقوده إلي أداء جميع الواجبات التي لها عليه دون تلكؤ ولاهوان، ومن جهة أخرى واجباته إزاء المؤسسة الموازية التي تكتنفه وهي المجتمع وذلك بتمثل اخلاقياتها وقيمها حتى يكون في تناغم معها.

إن الملاحظ البسيط يدرك للوهلة الأولى وهن العلاقة الوحدانية بين الفرد الموريتاني عموما وهذا الكائن المعنوي المعروف بالدولة، فهو كائن حديث النشأة نسبيا على الساحة الموريتانية ولذا فهو لم ينغرس في العقلية الجماعية بمعنى أن ماكان يحلم به المشرع الموريتاني في اللحظات الأولى من الاستقلال من غرس لمفهوم الوطن والدولة لم يتحقق بعد أي أن التربية المدنية فشلت في أداء مهمتها لأن الارتباط بالدولة واحترامها يستعاض عنه بالارتباط بهويات معنوية أخرى متأصلة في العقلية الجماعية أهمها القبلية والجهة والمجموعة العرقية والطبقية... وفي المقابل يبدو الارتباط بالقيم الاخلاقية أحسن وإن كان قد شهد هو الآخر هزة عنيفة تكاد تعصف به اليوم فمابقي منه هو مجرد ثوابت تكفل الدين السماوي بحفظها لأنها من أسسه القارة ودعاماته التي لاتتهاوى أبدا، وفشل المدرسة في تأصيل احترام الدولة ليست مسؤوليتها وحدها بل هناك عوامل عديد ومتداخلة ساهمت في ذلك الفشل وليس هاهنا مجال بسط الحديث فيها فلنرجئه إلى حين آخر.

2 – المراد بالتزويد بالمعارف والعلوم التي تنمي قدرة الابداع والخلق هو جعل التلميذ على أهلية فكرية تسمح له بتجاوز المرسوم سلفا وإبتداع شيئ جديد في شتى المجالات التي يرشحه استعداده الفطري وميوله الطبيعي إلي القراءة فيها والابتداع. لكن الحال على عكس ذلك اليوم لأن المعارف والعلوم التي يمنحها التعليم الموريتاني لاتزال قارة منذ حوالي اربعين عاما، لأن الاصلاحات الثلاثة التي توالت اهتمت اساسا بلغة التعليم وأغفلت نهائيا نوعية التعليم سواء تعلق الأمر بالعلوم الصحيحة أو بالمعارف الأدبية واللغوية والشرعية، وحتى هذا الذي يسمى في بعض الإختصاصات بالبرنامج التجريبي فهو لايضيف في الواقع شيئا ذابال، إذن فتعليمنا جسد تحجر الذهنية وعجزها عن الابداع والخلق.

3 – تفتح الذهن والعقلية على العصر ومقتضياته يعني قدرتهما

علي مسايرته واستيعابه واستغلاله لصالح الذات والوطن. وبما أن البرامج كما قلنا قارة منذ الاستقلال إلي اليوم فكيف يعقل أن تكون وسيلة ربط بين المتعلم وحياة عصره أو أفكار زمنه؟ إنها تربطه بالأحرى بمرحلة مضت من تاريخ الفكر البشري تراكم عليها زمن طويل وتخطتها معطيات العلم والحياة، ولولا القفزة الاعلامية لكانت ثمة هوة كبيرة بين الانسان الموريتاني و غالبية نظرائه علي الكوكب الأرضي.

4 – أما الهدف التاسع فهو أكثر الأهداف إشكالا وتعقيدا في الظرفية الحالية، ذلك أن تعليمنا يتم النظر إليه من الناحية الكمية فقط وقلما يتم التعريج على الناحية الكيفية، وهوأمر ينطبق علي جيميع مراحله ولعل إنعكاسه الاجتماعي أخطر فيما يتعلق بالمرحلة الجامعية فلو نظرنا إلى القدرة الاستيعابية لسوق العمل للاحظنا أنها – حسب دراسة أعدها بعض المختصين – بيعاز من ادارة الشغل والمندوبية انتقلت من نسبة 100 ٪ سنة 1985 الي نسبة 31 ٪ 1995 أي أنه على امتداد عقد من الزمن تراجعت نسبة امتصاص سوق العمل لحملة الشهادات المتوسطة والعليا بأكثر من الثلثين وهذا نقض صريح وصارخ لمنطوق الهدف التاسع. والسبب في ذلك يعود في نظرنا إلى عوامل معقدة ومتداخلة سنحاول باختصار إيراد أهمها:

أ – تراجع التكوين الفني المتوسط، ومعلوم أن الاطار الفني المتوسط يلعب دورا حيويا في عملية البناء الاقتصادي، وعدم وجود هذا التكوين يعني أن سبيل المتعلمين أصبح واحدا وهو التكوين العلمي العالي ولايعقل أن يمتص سوق العمل جميع المكونين. فلو أن التكوين الفني المتوسط كان يمتص قسطا منهم لخفت حدة الازمة الاجتماعية المتمثلة في البطالة، والملاحظ أن الاكتتاب على مستوى الوظيفة العمومية قد اقتصر على قطاعين يتفاوتان من حيث الأهمية هما: قطاع التعليم وقطاع الصحة، مع أن مايتم منهما لايسمى تكوينا فنيا متوسطا وإنما إكتتابا متوسطا وبين الاثنين فرق من الناحية الفنية والاجرائية.

ب – فرض تعريب التعليم وعدم تعريب الادارة والدوائر الرسمية عموما مما يعني في النهاية خلق قطيعة بين "ضحايا" التعليم والسياق السياسي والاداري المحيط بهم، فهم في فلك والآخرون في فلك، ومعنى هذا أن الأمل في الحصول على وظيفة ضرب من العبث لأن المعلومة الفنية أو التقنية أو الأدبية... لابد لها من ثوب لغوي يؤدي فيه ومالم يوجد هذا الثوب اللغوي فليس هناك قاسم مشترك بين الطرفين والمسؤولية في هذا الأمر تقع على عاتق المشرع المدرسي، فهو إما أن يراجع قرار التعريب الاجباري في التعليم أو يفرض نوعا من التعريب على مستوى الادارة والدوائر الرسمية وفي انتظار ذلك يظل المشكل قائما.

جـ – تراجع المستويات العلمية وتدنيها سواء على مستوى المعلمين أو علي مستوى المتعلمين، وهو تراجع يعود إلى عدم اكتراث الشباب اليوم بالعلم والمعرفة لأنهما لم يعودا يعطيان الضمانات المعيشية التي كانا يعطيانها بالأمس القريب أو إلى تقادم البرامج وعدم تلبيتها لتطلعات وحاجيات هؤلاء الشباب.

د – عدم مواءمة مضمون التعليم مع حاجيات سوق العمل لأن هذا التعليم لاينطلق من تشخيص حقيقي لطبيعة الحاجيات على مستوى القطاعين الخاص والعام. وحتى مايسمى بالتكوين المهني لم يعد هو الاخر مضمون التشغيل، وذلك عائد إلي خلل في التصور والتخطيط.

هـ – ضآلة جهود القطاع الخاص في دمج المتعلمين في سوق العمل، فالاتكاء حتى الان كان في الغالب الاعم على القطاع العام، ومعلوم أن هذا الأخير لايستطيع – حتي في أكثر الدول تقدما وتصنيعا – امتصاص جميع المتعلمين. وقد لوحظ في السنوات الأخيرة تحسن لدور القطاع الخاص ولكنه دور لايزال محتشما، ثم أن مايتم فيه من اكتتاب لاتراعي فيه ضوابط الكفاءة والخبرة وإنما تراعي فيه ضوابط أخرى.

إذن من خلال هذا العرض المختصر يدرك المرأ أن نظامنا التعليمي بحاجة إلي مراجعة لاكسالفاتها وإنما مراجعة عميقة تأخذ في الاعتبار كامل الأبعاد.

***

الخطاب التربوي في المحظرة الموريتانية

محظرة يحظيه ولد عبد الودود نموذجا

الأستاذ: حمزه بن أحمد بن الحبوب

مقدمة:

إن هذا الموجز الذي نحن له عارضون يصرح بعنوان "الخطاب التربوي" متخذا محظرة شيخ الأساتذة الأمام يحظيه بن عبد الودود(1) نموذجا ومثالا معولا علي "قراءة الدروس والألواح، ومقاربة وسائل الأفهام والإيضاح".

فمقصودنا من الخطاب التربوي الوقوف علي مختلف النماذج المعرفية التي تعمل علي تهذيب النشئ، وتربية الأطفال سواء تعلق الأمر بالترغيب في المذاكرة والحفظ، أو إتصل بجذب الطلبة إلي ساحة المعرفة والعلم ، أو إرتبط بطريقة الإلقاء والدرس ، أو مال إلى الجدل والحوار، والمناقشة والإقناع.

ونشير هنا إلي أن محظرة يحظيه قد كونت القوم تكوينا عاليا عبر مصفوفه من الأسس والمنطلقات التربوية، فكيف تجلت بصمات هذه المدرسة في الخطاب التربوي عموما؟ وماأبرزآثارها؟ وهل حدت من شأن العلم فأنطوى وانحسر.. أم إنها فتحت أمامه الأبواب فأمتد وأنتشر؟

ذلك ماتسعى هذه السطور إلى مقاربته منبهة إلي أن هذه المحظرة كانت مناط القصد وبيت القصيد، فهي ثمرة وتتويج لفترة من الدرس مضت وخلت، كما هي في الوقت نفسه تأصيل وتأطير لمرحلة منه أيضا خلفت وتلت. لذلك يمكن القول باطمئنان إنها حلقة وصل بين المحاظر، وربما درة نحر في معارف القوم، فلابأس أ ن نتخذها مثالا لأرقى ماوصلت إليه البلاد من الإزدهار العلمي في أواسط القرن الرابع عشر الهجري وأوائله حيث عرفت زهرة الحياة الثقافية ونضرة النعيم المعرفي بل صفوة ما إنتهى إليه الدرس الشنقيطي في التوسع والإستيعاب والتعمق والإستقصاء.

الأغراء بالدروس والألواح:

لم يبلغ القوم مابلغوا من التعمق في المعارف والعلوم إلا بفضل المدارسة والتكرار، والحفظ، والاستظهار، فأنجبت المحاظر من صفوتهم أعداد وسمتها ملازمة الألواح بسماتها الخاصة فبرزت رسل حضارة، بل أئمة في العلم عباقرة أفذاذ، فالقارئ لخطابات القوم وتاريخهم يدرك حقا أنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بكثير التضحية وعظيم البذل، فمن المبادئ التربوية التي إنطلقوا منها حمل الطلبة على الدراسة وشدهم إلى الألواح، وإغراؤهم بالحفظ والتكرار، فقد عمل أشياخ المحاظر جهدهم على ربط التلميذ بالدرس وجذبه \إلي ساحة المعرفة مستخدمين مختلف الوسائل والخطابات مراوحين بين الترغيب والترهيب، معتمدين أحيانا اسلوبا تربويا ساخنا يرهبون به عدو الدرس والحفظ، إذ يوعدونه بالظهور أمام أترابه مقلدا عقدا من بعر الإبل أو روث الحمير، وذلك عندهم خزي عظيم، وأحيانا أخرى يستميلونه بالهبات والعطايا وأصناف الإرشاد والأغراء المعرفي.

وهكذا نشأ أبناء محظرتنا في جو ثقافي عماده الرفع من شأن العلم والإغراء بالألواح فهم يتعاطون في سمرهم تحريض الشيخ(2) سيدي على الألواح وتعريضه باللواعب الملاح يقول

(3) الطويل:

ومن كان ذاهم ولوح وطاعة

فلايدن للمستصبيات اللواعب

فما أفسد الألواح والهم والتقى

كبيض التراقي مشرفات الحقائب

كما يتناشدون في أنديتهم العلمية ومحاوراتهم الأدبية أبيات بن متالي(4) الداعية إلى إفناء العمر في القراءة والدرس اكتسابا للعلوم. والناهية عن تضييعه بحثا عن الدراهم والأموال يقول

(5): الطويل:

خليلي أفن العمر غير الممدد

على نشب إن منه وأسيت يزدد

ولا تفين العمر في جمع ماإذا

بخلت به تذمم وإن جدت ينفد

وزيادة على ذلك عمل أبناد هذه المحظرة بشكل خاص على ربط الطلبة بالدروس وشدهم إلى محاورة الألواح والطروس، فالشاعر محمدو السالم بن الشين (6) يذم الركون إلى الجهل والبطالة والذنوب، منوها بالألواح، محذرا من نمبذها وراء الظهور، وتركها عرضة لنسج لاعبات الشمال والجنوب يقول(7) الوافر:

ولاتك مثل من يرضى بجهل

والاستغناء بالحسب الحسيب

فما الآباء تنهض ذاخمول

وراض بالبطالة والذنوب

ولوحك إن لوحك خير إلف

يزينك في المجامع والألوب

ولاتتركه خلف البيت تسفى

عليه السافيات من الجنوب

أما محمد حامد بن آلا(8) فإنه ينادي إبنه محرضا على قراءة الألواح مؤكدا أنها تكسو الفتى كرما ومهابة، بل هي محمدة أبناء الزاوايا ومفخرتهم يقول (9) البسيط:

ياأحمد الحسن إقرأ لوحك الكرم

اللوح لا الأصل والدينار والنعم

الأصل لإبن الزوايا لوح أبدا

إن يخل منه فلا عز ولاكرم

المحظرة جذب للنخبة واستقطاب:

لابد من التنبيه إلى إزدهار العلم بساحة هذه المحظرة التي كانت أشبه ماتكون بجامعة متنقلة أو معهد عال، فقد كانت تؤوي بين أكنافها مايقارب نصف الألف من الطلبة موزعين على خمس كليات يتابعون دراساتهم الجامعية من السلك الأول إلى منتهى الدراسة الأكاديمية، فيمكن إذن الحديث عن وجود كلية للشريعة الإسلامية تضم شعبتين، أولاهما شعبة العقيدة والتوحيد وتقوم على دراسة إضاءة الدجنة أحمد المقري(10)،ومدارسة "وسيلة السعادة" للمختار بن بونه(11) وتكميل ذلك بالكبري والوسطى للسنوسي(12) وثانيتهما شعبة الفقه وفرعه وتنطلق من دراسة مفصلة لمختصر خليل وشروحه(13) وقد استحدث طلاب هذه المحظرة مؤلفا فقهيا مشتركا جامعا مفيدا يضم كثيرا من الأنظام والتقييدات والتعليقات والإستدراكات، والتصويبات، وسموه "كناش خليل".

أما كلية الآداب والعلوم الإنسانية فإنها تحتوي ثلاث شعب أولاها شعبة النحو واللسانيات، والصرف، "دراسة ألفية بن مالك مع توشيح المختار بن بونه لها وطرته عليها" (14) ، وهو مايسمونه "الجامع" أو "الأحمرار" وقد اجمع احمد بن كداه(15) أحد نبهاء طلبة هذه المحظرة معظم الأنظام النحوية واللغوية في مجموع كبير عرف بإسم جامعه، فتداوله الطلاب واصبحوا يسمونه "الكداهية" هذا بالاضافة إلى طرة "أم الحواشي"، وفي هذه الشعبة كذلك يتدارسون مخارج الأصوات وصفاتها متوجين ذلك كله بلامية ابن مالك وتوشيح الحسن بن زيد(16) لها واستكماله لابوابها.

أما الشعبة الثانية فهي شعبة : اللغة وآدابها ويدرسون خلالها ديوان الستة الجاهليين(17) وديوان غيلان، دون أن يهملوا كامل المبرد، وإشعار العباسيين، معولين على مراجعة كتب اللغة كالقاموس المحيط، وصحاح الجوهري، وغيرها.

أما الشعبة الثالثة فهي شعبة: التاريخ والسير والمغازي "دراسة نظم الغزوات وأنساب العرب لأحمد البدوي(18)، وقرة الأبصار

مالك، واحمرار المختارين بونه، ومختصر خليل، وإضاءة الدجنة، وديوان الستة، مسطرة في الدروس اليومية للطلاب موزعة بين الألواح مما يكشف عن كثرة التلاميذ وتعدد المستويات.

فذوا طلاب مبتدئون نقراً في ألواحهم أبواب الألفية الأولى، وهؤلاء متوسطون تطالع دروسهم الأبواب الوسطى، وأولئك منتهون إلى أبوابها الأخيرة مشرفون على التخرج وهكذا يقول: "أحد تلاميذ يحظيه أيام قدومي الأول عليه سنة : 1344هـ يبلغ نيفا وستين، وثلاثمائة مع أنهم يكثرون زمن الخريف بحيث لايمكن عدهم، وإنما يمكن عدهم وإدراك أسمائهم وصفاتهم في الأزمنة الأخرى، مع أنه لايمر زمن إلا قدمت منهم أفواج ويكاد يجتمع خليل في الواحهم وكذلك الألفية ومتعلقاتها، وإضاءة الدجنة، ولامية الأفعال، إضافة ديوان الشعراء الستة، والسيرة وغيرذلك" (25).

وزيادة على ذلك ينبه الشفيع بن المحبوب(26) إلى كثرة طلاب هذه المحظرة معتبرها معهد إشعاع ظلت مصابيحه تنير الدياجي مايربو على نصف القرن من السنين، يقول : "إن معهده – يعني الشيخ يحظيه – لم يخل من طلبة علم مامنذ جلس للتدرس وهو إبن خمس وعشرين (1290هـ) حتى لقي ربه سنة (1358هـ) – أي مايساوي (68 سنة) – وقد يصحبه من التلاميذ ماينا هز أربعمائة في وقت واحد فيضم بعضهم إلى بعض وقت تفسير الدرس إذ لايفي الوقت بإقراء كل على حدته" (27).

يتواصل

الإحالات:

1 – هو يحظيه بن عبد الودود الجكني نسبا القناني وطنا ومنشأ (1265هـ / 1358هـ) عالم جليل ومدرس فالق وشيخ حظرة شاذلية، كان مجمع العلماء ومؤلف النوابغ، منظومات وكنانيش مفيدة وتقيدات هامة بالإضافة إلى جملة من الفتاوي والأقضية والأمالي، نصف قرت وهو يعلم الأجيال ويكون الرجال.

2 – هو الشيخ سيدي الكبير بن المختار بن الهيبه الانتشائي (1190هـ 1285هـ) عالم جليل وشيخ حضرة ضوفية وإمام محظرة، أخذ عن حرمه بن عبد الجليل، وسمع الفقه في محظرة حبيب الله بن القاضي الأجيبجي، ونزل بحضرة الشيخ سيدي المختار الكنتي وصحب إبنه الشيخ سيدي محمد، له ديوان شعري

محقق، ومجموعة من الرسائل والفتاوي.

3 - احمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة الخانجين، القاهرة 1989، ص: 242.

4 - هو محمد فال بن متالي التندغي (1206هـ / 1287هـ) عالم جليل وشيخ حضرة صوفية شاذلية وإمام محظرة له مؤلفات عديدة منها "فتح الحق" بالاضافة إلى مجموعة من الأنظام النحوية والفقهية والكلامية مع ديوان شعري.

5 - مقابلة مع العالم الجليل محدن الزايد بن الما في انواكشوط بتاريخ 20/ 07 / 1997

6 - محمدو السالم بن الشيخ (1283هـ / 1388هـ) عالم لغوي متبحر وشاعر مجيد أخذ عن محمد فال بن محمذن وحامد بن محمذن والشيخ سيدي بابه، ويحظيه بن عبد الودود، ديوان شعري محقق.

7 - محمد خونا بن سيدي محمد: تحقيق ديوان ابن الشين المدرسة العليا للأساتذة/ انواكشوط 1982 ص: 21.

8 - محمد حامد بن عبد الله بن آلا الحسن (ت 1379هـ 1959م) عالم فقيه وشاعر نظامة قاوم بحزم مشاريع الاستعمار الثقافية فرفض افتتاح المدرسة العصرية الفرنسية في حيه.

9 - الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987 ص: 87.

10 - المقري هو: أبو العباس احمد بم محمد المقر التلمساني (ت1040هـ 1631م) مؤرخ وأديب مشارك في علم الكلام والحديث والتفسير، من مؤلفاته نفس الطيب وإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.

11 - المختار بن بونه الجكني (1080هـ1220/م) نحوي متكلم، وشاعر مجيد، مؤلف متوسع، راد الحركة النحوية ببلاد شنقيط بفضل نظمه تسهيل ابن مالك المعروف بـ(الجامع بين التسهيل الخلاصة \المانع من الحشو والخصاصة) كما ألف في العقيدة وسيلة السعادة أخذ عن محمد بن أبو أحمد المجلسي وابنه البدوي وخديجة بنت العاقل، له ديوان شعري محقق كان أبا النحو، وعلم الكلام والمنطق والبلاغة وأصول الفقه بالبلاد.

12 - السنوسي: هو محمد بن يونس الحسني (ت 895هـ 1489م) إمام وفقيه مالكي له اجتهادات عاش في تلمسان وتوفي بها نبغ في العلوم الإسلامية لاسيما علوم الكلام "أم البراهين" في العقائد أو السنوسية الصغرى، شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين.

13 - هو ضياء الدين أبو المودة خليل بن اسحاق الجندي المصري (ت 776هـ / 1274م) فقيه مالكي درس بمدرسة الشيخونية والتحق بالجيش فساهم في انتزاع الأسكندرية من أيدي الأفرنج سنة 1366م له كتاب "المختصر وهو أكثر الكتب الفقهية تداولات بين المالكيين ترجم الي الفرنسية.

14 - ابو عبد الله محمد بن مالك النحوي (ت 1203هـ / 1274) ولد في جيان، برع في النحو حتى كاد ينازع سيبويه.

15 - هو احمد بن بابو المعروف باحمد كداه الكمليلي (ت 1337هـ/ 1929م) كان من الطبقة الاولى التي أخذت عن يحظيه بن عبد الودود، وكان بارعا في النحو عرف بكتابه "الكداهية" وهو مجموع نحوي يضم كثيرا من الزنظام النحوية واللغوية التي تساير الألفية من الفاتحة إلى الخاتمة.

16 - الحسن بن زيد القناني (1235هـ1315/م) نحوي بارز وعالم جليل ونظامة مجيد كان شيخ محظرة، أخذ عن عبد الودود بن عبد الله الجيلاوي وتخرج عليه سيبويه عصره يحظيه بن عبد الودود، له توشيح على لامية بن مالك بالإضافة إلى نظم مستقيل في محفوظات الجمهوع وأنظام عديدة في مختلف المسائل النحوية.

17 - ديوان السمة الجاهلية: هو مجموعة شعرية لستة شعراء جاهليين اختارها الأعلم الشنتمري وهذه الدواوين الشعرية هي ديوان أمرئ القيس، وديوان طرفة، وديوان عنترة، وديوان النابغة، وديوان زهير، وديوان علقمة، وكانت هذه الدواوين عماد الدرس اللغوي بأرض شنقيط.

18 - هو أحمد بن محمد بن أبي أحمد البدوي المجلسي (ت 1209هـ / 1793م) عالم نظامة وشاعر مجيد أحيا أنساب العرب، بمنظومته عمود النسب، ومغازي النبي صلي الله عليه وسلم، وتقييد علي مختصر خليل في الفقه، بالإضافة إلي نظم في السيرة.

19 - اللمطي هو عبد العزيز بن عبد العرير اللمطي المكناسي الميموني (ت 880 هـ / 1475م) نحوي من فقهاد المالكية نسبة إلي لمط من قبائل البربر بأقصى المغرب نزل المدينة المنورة، له ألفية في النحو.

20 - هو أحمد محمود (مم) بن عبد الحكيم الجكني (1312هـ / 1362هـ) أخذ اللغة عن عبد الله بن حمين الحسيني ثم التحق بمحظرة الشيخ يحظيه ليقيم بها عقدين من الزمن دارسا ومدارسا وقد برز في النحو والصرف له أنظام محاذية للألفية من الفاتحة إلى الخاتمة وله ديوان شعري وطرة \على المقصور والممدود وتقاييد على كثير من مسائل مختصر خليل في الفقه.

21 - محمد يحي بن سيد احمد: مجلة الوسط رقم: 5 يناير 1996 - مقال بعنوان: حياة يحظيه بن عبد الودود، نظم ممو بن عبد الحميد الجكني: تحقيق وتعليق ص: 57.

22 - المرجع السابق ص: 58.

23 - في القاموس: بكر الوضاح: صلاة الغداة، والعشاد الآخرة، بدل أو عطف بيان من قوله "لثني دهمان" والمثابرة مفاعلة من ثابر أي واظب والمعنى أن الشيخ يواصل التدريس من طلوع الفجر إلى صلاة العشاء.

24 - محمدن بن حمديت التندغي (1316هـ/ 1397م) عالم جليل وأديب شاعر له منظومات في النحو وأنظام في الفقه والعقيدة والتصوف بالإضافة إلى ديوان شعري يشمل الشعبي والفصيح، وكان شيخ محظرة وتخرج عليه العديد من الطلاب.

25 - محمد يحي بن سيد احمد: مجلة الوسيط: مرجع سابق الهامش رقم (4) من ص: 57.

26 - الشفيع بن محمد (ميميه) بن المحجوب (1321هـ / 1407هـ) عالم جليل، ونابغة عبقري ورجل سياسة وإمام محظرة وشيخا في التربية والسلوك، أخذ عن الشيخ يحظيه بن عبد الودود، عمل مدرسا ومفتشا في وزارة التهذيب الوطني، له عدة مؤلفات منها نظم في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومؤلف في صحة الإجماع، ومنظومة في تربية الأبناء، كما نظم مغنى للبيت نظما رائعا سماه "تبراس الهداة".

27 - الشفيع بن المحبوب: حياة الشيخ يحظيه والحديث محظرته، ورقات مخطوطة بحوزة العالم الجليل عبد الله السالم بن يحظيه مد الله في عمره ومتعنا به كثيرا.

تعليم المرأة .. ضرورة تنموية

الاستاذ الشيخ المعلوم ولد محمد سالم . اللجنة الوطنية

المقدمة

إذا انطقنا من مسلمة ان الاسان هو غاية ووسيلة التنمية فإن بناء هذ الانسان بناء متوازنا يمكنه من الانسجام الشخصي والحضاري والسيطرة علي محيطه لبناء الحضارة، فان اداته الاساسية لتحقيق هذه المبتغي هو التربية والتعليم بصفة خاصة وهذه الحقيقة يكاد يجمع عليها جميع المفكرين والباحثين في مجالات التربية والتنمية والتعليم وتركيزنا في هذا الموضوع علي تعليم المرأة يتاسس علي معطيات ذات صلة بواقعنا الموريتاني اذا ان مستوي التعليم في بلادنا لم يصل إلى اهدافه (مدرسة ومحو اميةا لجميع) رغم اقتراب سنة الهدف 2000وكذلك فان تدني مستوي التمدرس وارتفا ع نسبة الامية في صفوف النساءوكونهن ديمغرافيا في واقعنا اكثر من الرجال وخاصة في الفئات العمرية المنتجة إذا أن عددالنساء من الفية العمرية ما بين 35،20 يزيد علي عدد الرجال يواقع 116 مقابل 100 وهو مايبرز اهتمامنا بهذا المجال لبيان الضرورة التنموية لتعليم المرأة هذا الموضوع الذي سنتناوله من خلال المحاور التالية :

- واقع تعليم المرأة في المجتمع الموريتاني
- انعكاسات هذا الواقع علي التنمية الاقتصادية والاجتماعية
- التوجيهات المستقلة في مجال تعليم المرأة

اولا: واقع تعليم المراة في المجتمع الموريتاني

أن موريتانيات التى تولت تسيير امورها عام 1960 لم تكن تتوفر علي نظام تعليمي رسمي يعتمد عليه في تعليم كافة الموريتانيين والموريتانيات وانما كان يوجد نظامان تربويان يتعايشان كل في اتجاهه احدهما (أهلي عرفي يهدف الي توطيد الثقافة الاسلامية واللغة العربية واصالة موريتانيا الشنقطية ويحمل في طياته الرفض الضمني او الصريح احيانا لكل ماسواه من انماط التعليم وخاصة ذلك الموروث عن الإدارة الاجنبية بأشكاله ومضامينه (لغته واهدافه) وإذا كان هذا الاخير يهدف الي تخريج كتبة وموظفين إداريين علي مستوي تسيير الادارة الحكومية من مستوياتها الدنيا وإذا كانت مسؤوليات التخطيط والتنفيذ في المستويات العليا من اختصاص مستشارين إداريين من بقايا دائرة المستعمرات وتراجم عايشوا تجارب رأسائهم الأجانب وهو ماجعل التمدرس بصفة عامة يظل محدودا بحكم عوامل ثقافية واجتماعية وقلة مشاركة النساء بصفة خاصة بفعل نفس العوامل لان المجمتع الموريتاني الذي يرفض المدرسة علي ذلك النمط الذي كان سائدا قد تتاح الفرصة فيه للرجال اكثر من النساء لاعتبارات ثقافية ذات بعد اجتماعي تقليدي مؤداه ان الرجل قوي وله امكانيات خاصة تجعله أهلا لأن يتعامل مع الآخر دون التأثربه بصفة مطلقة وهي فكرة قد لاتكون صحيحة بالمرة لأن الدراسات النفسية والتربوية لم تؤكد هذه الخصوصية إلا أن العادات والتقاليد غير الواعية هي المرجع الاساسي في هذا المجال وهي خصوصية لا تميز المجتمع الموريتاني عن غيره من المجتمعات المشاركة له في الخصوصيات العامة ومع التطورات الطبيعية والاجتماعية والسياسية التي عرفتها موريتانيا المستقلة بدأالتفاعل الداخلي يقود إلى تغيير في تلك الاعتبارات حيث يدأ الاقبال علي المدرسة يزداد تدريجيا مع تواتر الاصلاحات التربوية في طريقها الي التصالح النسبي بين المدرسة والمجتمع هذا التصالح تم بموجبه تذليل بعض المصاعب التي كانت تواجه التمدرس من جراء اعتبار المدرسة من باب التبعية الثقافية للمستعمر إذا اخذت اللغة العربية

والتربيية الاسلامية والتاريخ الوطني ادوارا مهمة في المقررات الدراسية كما ازداد الوعي بالحاجة الي العلم والتكنولوجيا والانفتاح علي الآخر وتبوء المكانات الادارية والسياسية في مراكزالدولة والمجتمع التي اصبحت تستغني شيئا فشيئا عن المسير الخارجي في طريقها إلى مرتنة العمل وهكذا أدت هذه الظروف مجتمعة الي ارتفاع مستويات التدريس بصفة عامة ولكنه مع ذلك لم يصل الي الاهداف المنشودة كما اسلفنا ولم يكن التوازن فيه قائما على مستوى الجنس والوسط الاستيطاني على الرغم من الجهود التي بذلت لتحقيق هذا التوازن فإن نسبة التمدرس في فترة مابين 1988و1994تراوحت في صفوف الاولاد ما بين 53 و 77;29٪ في الوقت التي كانت في صفوف البنات 34 – 65٪ وهي نسب تؤكد ضرورة العناية بتمدرس النساء خاصة إذا ما علمنا انهن يشكلن 51٪ من (جمالي السكان المقدرين 2346752 نسمة حسب

التكوين والعمل والكفاءة الانتاجية خاصة إذا ما علمنا انه في عام 1992 كان عدد البنات اللاتى يصلن الي التعليم الثانوي يساوي نصف عدد الاولاد وذلك من جراء جملة من العوائق الاجتماعية والاقتصادية حيث يعرف تمدرس البنات حملة عوائن نذكرمنها

– تدني مستوي الوعي بفوائد التمدرس في مجتمع تتجاوز الامية فيه 50٪ وقد تجاوزت في صفوف النساء60٪

– اعباء الانشطة المنزلية التي تتولاها النساء الامهات اللاتى بحاجة الي مساعدة بناتهن

– الزواج المبكر خاصة في الاوساط الريفية والاوساط الاقل حظا من التمدرس إضافة الي الارتفاع النسبي لكلفة تمدرس البنات الذي قد يتطلب تنقل العائلات من اماكن اقامتهمن الاصلية خاصة من المراحل الاعدادية والثانوية وتبقى الاعتبارات الاجتماعية المتعلقة بالنظرة الي دور المرأة ومكانتها في المجمتع

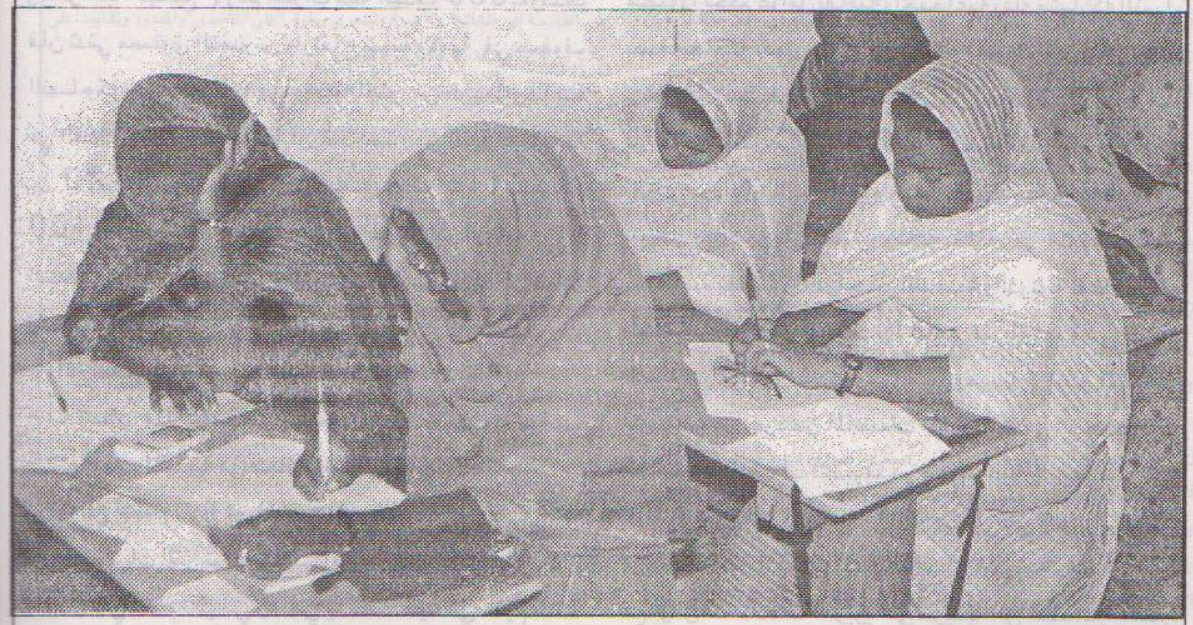

تقريرات 96وانطلاقا من هذا الواقع وتأسيسا عليه فان المهتمين بمشكلة التنمية يواجهون جملة من التحديات في مجلات

ومستوي الوعي لدى الانسان (الرجال – النساء) المعشعشة في كيان ذلك المجمتع التقليدي الا ان إرادة التنمية والنهوض بهذا

الواقع بتطلب ادراكا كليا لمفهوم وغاية وسيلة النتمية

ثانيا: انعكاسات هذا الواقع علي التنمية الاقتصادية والاجتماعية

اصبح من المجمع عليه لدي معظم الدارسين ان التنمية اي دفع مستويات التقدم الاقصادى والاجتماعى ومستويات الانتاج التكنولوجي والفكرى عملية حضارية تتطلب التأثير الفعلي علي ثقافة المجتمع بكاملها ووسيلتها الاساسية هي الانظمة التربوية (التي اصبحت مؤسسات حديثة من انتاج هذه الحضارة وصيغة من صيغها تبنتها المجتمعات النامية فيما تبنت من المؤسسات والنظم التعلمية وهي بالتالي امتداد للتنشئة الاجتماعية وترشيدها في وظيفتها وتنظيم علمي لمواجهة متطلبات تكوين الافراد وتنمية قدراتهم الفكرية وتوظيفها في خدمة المجتمع الإنساني في إطار التحصص الاجتماعي للعمل ذلك التخصص الذي يعتبر سمة اساسية من سمات المجتمعات الحديثة)

وفي هذا الاطار فإن علاقة التعليم بالتنمية هي علاقة تنشيط في الابعاد الزمانية والمكانية ووصل فكري بين ابعاد الزمن المتتالية لماضى -الحاضر - المستقبل وهي كذلك علاقة للتعايش مع الواقع لتقديم الخبرات والمهارات والتصورات التي يتحرك بها المجتمع وهو ماجعل التعليم يحتل مركزا كبيرا.

في برنامج الانماء الاقتصادي لمعظم دول العالم واعتباره بالنسبة لمعظم رجال التنمية استثمارا خلافا لمن يراه خدمة اجتماعية ومصدرا للاستهلاك ومجتمعنا الذي مازالت الامية تسيطر علي عدد كبيرمن افراده يواجه جملة من العوائق التنموية بسبب هذا التخلف المعرفي ففضلا عن وجود اعداد كبيرة من المواطنين غير القادرين علي الاداء الانتاجي بالادوات التكنولوجية العصرية توجد اجواء ملائمة لشيوع العادات والتقاليد والقيم التي لم تعد تلائم الاوضاع الحضارية اليوم كشيوع الاتكالية والتأفف من بعض المهن والاعمال التي كانت مرتبطة بمراكز اجتماعية تقليدية والقبول في بعض الاحيان بوضعيات الجهل والامية فعدد من البنات يتمنين ان يصبح في اوضاع امهاتهن (ربات بيوت اميات) وهو ما يعبر عنه بعض التربويين بالعدوي الثقافي كما ان الاستفادة من وسائل الاتصال والاحتكاك الحضاري تبقي بالنسة لغير المتمدرسين عديمة الفائدة ثم ان ادراك الامكانيات الحقيقية للفرد وحقوقه والتزاماته داخل المجتمع ومشاركته في البناء واداء واجبه في حماية وسيادة الحوزة الاقليمية لوطنه تبقي كذلك مشروطة بمستوي حظه من التمدرس، كلها انعكاسات تتطلب من المتطلع الي المستقبل ان يعيها ويرسم الآفاق التي قد تمكنه من انجازها وتحقيق الاهداف الكبري التي يطمح اليها المتجمع

ثالثا: التوجهات المستقبلية لتعليم المرأة

تعتمد موريتانيا في اطار طموحاتها التنموية الي تعميم التعليم ومحو الامية في حدود سنة 2000 ولهذا الغرض تحاول تعميم التعليم من خلال تشجيع تمدرس البنات وتوعية الامهات والمجتمع علي اهمية هذا المشروع وفتح آفاق المشاركة في الحياة العامة للمرأة ودفعها الي مزاولة مختلف الاعمال وتجاوز العوائق الاجتماعية الآنفة الذكر وذلك بالتأثير علي المسلكيات السائدة والتي الاتخدم النمو الاقتصادي والثقافي ولعل الحملات الاعلامية التي تتقدم بها مؤسسات المجتمع المدني من مختلف مواقعها اداه تساعد علي التغيير في اتجاهات المستقبل وستبقي تحقيق مسنويات مرتفعة علي طريق الاهداف رهين الارادات الانماية الجادة وذلك لمواجهة النقص الذي مايزال ملاحظا (إذا مايزال التحاق البنات البالغات سن المتدرس خلال 95-96 في حدود 76٪ في حين يقدرتسربهن ب 46٪ في المرحلة الاساسية ويبقي عدم التوازن في توزيع التمدرس بين الجنسين قائما ومختلف من ولاية لاخري.

المصادر

-مصلحة التخطيط والتعاون بوزارة التهذيب الوطني

- مصلحة ترقية الاسرة بكتابة شؤون المرأة

- ادارة محو الامية بكتابة الدولة لمحاربة الامية

- الامية في الوطن العربي مشكلات وحلول.

لمحيي الدين صابر.

× ص : ٤٦ . من نفس الكتاب

المغرب والاندلس .. الاتصال والانفصال

د. ازبير بيه ولد محمد محمود . جامعة

ليس بالامر اليسيرعلى المرء هنا في هذه العجالة أن يتعرض لأوجه الاتصال والانفصال والوحدة والتكامل بين إقليمين كبيرين امتدت العلاقة بينهما قرونا من الزمن مثل المغرب والأندلس.

لذلك فإن مايحكم هذه المساهمة من شروط (محدودية الصفحات اللازمة علي البحث ان يلتزم بها والوقت الذي يجب أن تمر فيه) يقضي الالماع الي السمات العامة للاتصال والانفصال، ومن ثم الوقوف بشيئ من الاسهاب على مرحلتين هامتين من الصلة بين الاقليمين وهما مرحلة المرابطين والموحدين، وهما مرحلتان اتحد فيهما الإقليمان على الأقل من الناحية السياسية، وفي مرحلة من مراحل عمر الدولتين امتزج المغرب (1) بالأندلس عهودا متطاولة تناهز ثمانية قرون أو تزيد.

وكان للعدوتين المغربية والأندلسية خلال هذه العهود اتصال وامتزاج شد الأواصر، ونسج لحمة يعز نظير لها في التاريخ الإنساني.

وقد بدأت هذه الصلات علي حد رغم مؤرخي العصور الوسطى بغزو القبائل البربرية الجرمانية للقسم الغربي من الأمبراطورية الرومانية.

وكان مقدرا للمغرب، وهو جزء من غرب هذه الأمبراطورية، أن يسقط بيد الواندال الذين عبروا المضيق إليهم من إسبانيا سنة 429م(2)، وقد مكث المغرب تحت سيطرتهم قرابة قرن إلى أن استطاع البيزنطيون إستعادته سنة 533م في عهد الأمبراطور جوستنيان وأستمر حكمهم له إلى أن أخرجهم العرب المسلمون منه إبان الفتوحات الإسلامية(3) لذلك، فقد أطلق المغاربة على هذه البلاد إسم الأندلس نسبة للأقوام الذين قدموا منها، وعندما قدم العرب الفاتحون إلى المغرب وأرادوا فتحها أخذوا عن المغاربة هذا الإسم الذي إشتهرت به

غير أن الإلتقاء بين العدوتين تنامى و[illegible] الإسلامي سنة 92هـ 711 م إذ إختلط [illegible] الفاتحين (جيش طارق بن زياد ومدد موسى بن [illegible] القيسية واليمانية) مع أهل الأندلس [illegible] تمخض عبر القرون عما أسماه الغربيون [illegible] تبلورت فيه الوان متكاملة، شملت أدق مجالي [illegible] منها بالفن الإسلامي المورسكي، وقد إتصف [illegible] عربية عريقة خاصة خلال القرن الرابع الهجري [illegible] صنهاجية مصمودية تحت تأثير المرابطين [illegible] إنطبع تراث الأندلس بعطاءات مغربية [illegible] عنها حضارة فذة، خلقت عالما ثالثا بين الشرق [illegible] بين المحيط والمتوسط في المغرب وصحرائه [illegible] قارات، وثلاث حضارات(4).

ولقد ظلت العلاقة بين العدوتين خلال القرون [illegible] الشعبية للمغرب والإنفصال عنه، ولكن الصلة [illegible] عهد الدولتين المرابطة والموحدية.

وقد شهدت القرون الثلاثة التي سبقت عهد [illegible] أحداثا سياسية وعلمية كان لها أثرها في توثيق [illegible] فإذا كانت العدوة الأندلسية قد شهدت إنتفاضات [illegible] وهي بمثابة امتداد لثوراتهم في المغرب إثر [illegible] 122 هـ 740م وعقبتها ثورات أخرى خلال [illegible] الموالية، فإن عهد عبد الرحمن الداخل [illegible] 753م قد شهد أوبة الكثير من المغاربة إلى [illegible] ولكن عبد الرحمن مالبث ان استدعى قوات من [illegible]

تكثيف وتقوية جيشه، وحين إستولى المنصور بن أبي عامر علي الحجابة وأستوثق له الأمر وبنى مدينة الزاهرة، وحين أراد تقوية الجيش إستدعى مجموعات من المغاربة، وكانت بينها عداوات في أرضها) مما كثف أعداد المغاربة القرطبيين في الزندلس وعزز حكم المنصور العامري(5).

وهؤلاء هم موضوع كتاب ابن حزم في الأنساب(6) مدرجا بينهم الصنهاجيين والمصامدة والكاتبيين.

أما في المضمار الحضاري، فإن الأندلس بعد الفتح الإسلامي سنة 92هـ 711م وعهد الولاة فيه (97هـ 138م / 716هـ 756م) والدولة الأموية فيه (138هـ716م / 422هـ 1031م) بما له من سعة الإتصالات مع عالم البحر الزبيض المتوسط والمشرق العربي الإسلامي الذي كان في عنفوان إزدهاره الحضاري، عموما وتألقه الفكري، خاصة قد فاءت علي الأندلس بالخير العميم، وأنعكست على أوضاعه عامة بشكل إيجابي، فقد إنتقلت إليه زراعات المشرق، الأصلية أو المجلوبة من الشرق الأقصى إذ نقل ابن حيان الكيفية التي إنتقلت بها متمثلة بالرمان السفري.

،مع إنتقال السلع والمزروعات كما هو معروف، كانت تنتقل الزفكار وقد إنتقل للأندلسيين علم الفلك على مذهب بطليموس، الذي يرى أن الأرض سرة الكون، وقد حمل بعض أهل حران، التي عرفت بإزدهارها علوم الطب فيها، حمل بعض أهلها إذن الطب وصناعة الأدوية الي الأندلس.

وليس بالمستغرب تبعا لذلك أن تظهر بالأندلس شخصيات فكرية وعلمية على قدر كبير من الأهمية أمثال عباس بن فرناس الذي برع في الفلك وحاول الطيران، وصنع الزجاج من الحجارة(7)، وأنتقل إلى الأندلس المطرب الشهير زرياب، وقد صنع في الأندلس عودا جديدا أضاف فيه وترا خامسا، ونقل للأندلسيين عادات المشرق الإجتماعية المتأنقة.

وقد سمحت حالة الرفاه التي عاشها الأندلسيون بالتأنق والترف في المناحي المعمارية فظهر في المساجد وبناء القصور في قرطبة والمنى، وهي إرهاصات القصور الريفية التي لم تعرفها أوروبا إلا في فلورنسا في النصف الأول من القرن 14م،وكذلك حالهم مع مدن الثغور التي شيدوها مثل (مجريط) مدريد الحالية.

والحق أن المغرب، قبل سيطرة المرابطين على الأندلس، عرف تسرب عطاءات الأندلس الحضارية وتجسد ذلك خاصة بعد النكبة التي تعرض لها عوام ربض قرطبة على يد الحكم الربضي (180هـ/ 206هـ- 796م / 822 م) وهجرة أربعمائة عائلة إلى المغرب الأقصى.

ويعتبر عهد المرابطين مرحلة فاصلة في العلاقات بين العدوتين، فلقد كان لدورهم من قبل، فأمتد نفوذهم من بلاد شنقيط جنوبا إلى أواسط وشمال شبه الجزيرة الأيبيرية شمالا، وعرفت مناطق الإئتلاف هذه خلافات وصراعات كانت محتدمة (صنهاجة في بلاد شنقيط، زناتة في المغرب، دول الطوائف في الأندلس...).

وكان المغرب قبل سيطرة المرابطين مجال نفوذ للأندلسيين التي كان يحكمها الأمويون، منذ القرن الرابع، وابتداء من هذه الفترة أصبح الأندلس تابعا للمغرب وذلك بعد تدخل يوسف بن تاشفين وقد دشن يوسف بذلك تقليدا لكل الدول التي تقوم في المغرب... التي تتشوف إلى حماية الإسلام في الأندلس.

وقد بلغ التواصل بين المغرب والأندلس مداه في هذه الفترة وكان الزندلس متفوقا في هذا المضمار وخاصة في الجانب الفني كالعمارة مثلا، علي إعتبار أن المرابطين أهل بداوة، ولم يكن لهم تقليد راسخ في هذا المضمار.

والحق أن الفن المعماري الزندلسي شدهم وخلب ألبابهم، فأستجلبوا معهم البناة والمهرة، وشيدوا المساجد والأسوار والقصور علي الطراز الأندلسي.

وإذا لم يبق المسجد الذي بناه يوسف بن تاشفين في مراكش، والمصلي في فاس، فإنما بقي من زيارات يوسف بن تاشفين لمسجد القرويين بفاس، ومسجد المرابطين في تلمسان يمكن أن يعطي فكرة عن تأثير الفن المعماري الأندلسي على المغرب.

ولربما كان التأثير في المضمار العسكري بين المغرب والأندلس من نصيب المرابطين المغاربة، إذ يذكر البكر الأساليب المتفوقة للمرابطين في هذا المضمار التي منتها ولهم في قتالهم شدة

وجلد ليس لغيرهم، وهم يختارون الموت على الإنهزام ولايحفظ لهم فرار من زحف(...) وأكثر قتالهم رجالة صفوف بأيدي الصف الأول القنا الطوال للمداعسة والطعان، ومايليه من الصفوف بأيديهم المزارذق، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ"(8).

إن من الملاحظات الأساسية التي يمكن سردها في مضمار الإتصال والتجاذب بين المغرب والأندلس أنه في عهد المرابطين تم التبدل في مراكز التألق الفكري، فقد خبأ مركز الأندلس، بحكم حملات الإسترداد، خبأ القيروان بحكم خرابها وتأسس مركز جديد على حواف الصحراء وهو مراكش عاصمة المرابطين، وقد إزدهرت العلوم في عهدهم، وخاصة في عهد علي بن يوسف(500 ـ 537 هـ ـ 1106 ـ 1142م) فقد تألق في عهده علم من أعلام البيت الطبي في الأندلس وهو عبد الملك بن زهر، وكتب كتابين طبيين طارت شهرتهما في تلك الأصقاع.

التعريف لمن عجز عن التأليف.

والحق أن أسرة الزهراوي أسرة طبية توارثت هذا العلم خلال ثلاثة قرون وأبدعت فيه في الأندلس.

ثم نرى شخصية فكرية أخرى تتألق في سماء المرابطين وهي شخصية ابن باجه المتوفى 533 هـ ـ 1138م كان نشاطه مركزا علي الفلسفة والرياضيات والمسيقى، وقد لاقى الترحيب في عهد المرابطين وقد كان رنتاجه في الحكمة ثرا فقد قيل أن انتاجه فيها ناهز 25 كتابا، وقد علق علي جملة من الفلاسفة أمثال أرسطو وأقليدس وجالينوس والفارابي.

ولكن الباقي من هذه الكتب لايتعدى (الكلام في إتصال العقل بالإنسان، ورسالة الوداع، وتدبير المتوحد).

وكان رائدا ومؤسسا للإتجاه الفلسفي الذي سار عليه أهل النظر في هذا المجال بعده في الأندلس، ولم يبق تأثيره حبيس حدود الأندلس، بل تجاوزها ليؤثر في فلاسفة العصور الوسطى في أوروبا(9).

ولقد تركت دولة الموحدين آثار كذلك في هذا الإتجاه، فعلى الرغم من أنها سارت في بعض الأحايين في الاتجاه الذي سلكه أسلافها المرابطين، مع تغير في الأساليب والدوافع، فإن الموحدين كانوا مجددين في مجالات أخرى.

ففي عهد الموحدين نرى المغرب يتسم بالطابع العربي، يتجلى ذلك في الإختلاط والتمازج بين السكان المحليين والقبائل العربية، وساروا بهذه العملية إلى نهايتها بنقل بعض القبائل العربية حتى الأطلسي، ومن ثم عبروا بهم إلى العدوة الشمالية(10).

ولقد إزدهرت في عهد الموحدين الفلسفة، ولمعت في سمائهم شخصيات خرج تأثيرها عن حدود المغرب والأندلس كذلك من أمثال ابن طفيل وابن رشد(11).

وفي عهد الموحدين كذلك تمادى طغيان تأثير الفن المعماري الأندلسي في المغرب وق احتل الموحدون مكانة سامقة في هذا الفن"لاسيما في عهد يوسف الذي عاش في إشبيلية، حيث زينها بأروع البنايات والموسسات العمومية، ثم جاء ولده يعقوب المنصور، فكان أبدع بناء في تاريخ المغرب الفني، وقد تجلت هذه البدائع في إشبيلية والرباط ومراكش ومنارتها (خير الدا وحسان والكتبية).

وأصبحت مراكش ببنايتها وقصورها وحدائقها أشبه ببغداد في الشرق كما شبهت مدينة فاس دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة، ويمكن أن تعتبر مدينة فاس أول مركز عربي تفتق في البلاد المغربية وأصبح بعد ذلك (...) مظهر إعجاز في ميدان التكيف بالطابع الشرقي" (12).

ولكن الموحدين استطاعوا ببراعة أن يزاوجوا بين تعبير العمران عن قوتهم وبين فلسفتهم الداعية للتقشف، فأتت مبانيهم ضخمة ولكنها بسيطة في زخارفها بشكل يجعلها موائمة لطبيعة دعوتهم.

وبالجملة فإن الحضارة الإسلامية أينعت في الأندلس وأستقطبت الجامعات الإسلامية فيها، وكذا دور الكتب، طلبة المعرفة في أوروبا، فنهلوا من معارفها الغزيرة، وأقتبسوا من عطائها الثر، وتعرفوا على أوجه الحياة المختلفة للعرب فيها، بما في ذلك المعتقد الديني، وقد أبو إلى بلادهم ومعهم كل هذا الزاد ومن أشهر هؤلاء الرهب جربير (GERBERT) الذي اصبح فيها

بعد البابا سلفستير الثاني (999 ـ 1003)م وقد كان له أثره الديني في أوروبا، إذ يعتبر من رواد الإصلاح الديني وهو الذي ينسب إليه نقل الزرقام العربية إلى أوروبا (13).

وإلى جانب ذلك كانت هنالك حركة ترجمة واسعة النطاق من العربية إلى اللاتينية سواء كانت هذه الكتب عربية أصيلة، أم مترجمة عن العربية إلى اليونانية ككتب أرسطو (384 ـ 322) ق.م. وإقليدس (القرن الرابع قبل الميلاد) وبطليموس وغيرهم.

تداول اعلام الغرب وفلاسفته أسماء فلاسفة العرب وعلمائهم أمثال ابن سينا (370 ـ 428 هـ ـ 980 ـ 1037 م) وابن رشد المولود سنة 530 هـ 1126 م وغيرهم.

وكانت مدينة طليطلة هي مركز الترجمة في القرن الثاني عشر ميلادي حيث أنشئت مدرسة خاصة بها في هذه المدينة.

هوامش

1 – المغرب اسم إضافي يدل على مكان ما بالاضافة الي جهة المشرق، ومن هذا المنطلق تظهر صعوبة تحديده من الناحية الجغرافية، وقد اكتسى اللفظ معنى جغرافيا وسياسيا خاصا خلال المرحلة الوسيطة من التاريخ الإسلامي، والمصادر مختلفة في التعريف، ولقد رد ابن خلدون ذلك الاختلاف إلى عرفين مختلفين مما عرف أهل الجغرافية والعرف الجاري في زمن ما.

ويمكن تبيان ثلاثة أسس اعتمد عليها الكتاب في تعريف المغرب:

1 – منهم من اعتمد مظاهر السطح اذ ذهب ابن حوقل الي ان النيل هو الفاصل بين المشرق والغرب إنما كان بحر القلزم (البحر الأحمر).

2 – منهم من اعتبر العامل البشري، فرأي ان المغرب ماكان قديما ديار البربر ومواطنهم، وفي هذه الحالة فإن المغرب يمتد من طرابلس إلى المحيط الأطلسي وهو بذلك يخرج الزندلس منه.

3 – وأخيرا الاعتبارات السياسية... فالإصطخري الذي كتب في وقت تبلور فيه استقلال الأندلس عن الخلافة العباسية، وأصبح الشمال الإفريقي موطن نزاع بين أمويي الأندلس وفاطمي إفريقية، نجده يقسم المغرب إلى مغربين إفريقي وأندلسي، ولما سيطر المرابطون من تلمسان إلى المحيط ومن الصحراء إلى جبال الشارات الأندلسية ظهر تعريف للمغرب يقتصر على أرض الدولة المرابطية.

ونحن نقصد بالمغرب الآن مايعرف إصطلاحا بالمغرب الكبير الذي يضم المغارب الثلاث وبرقة وبلاد شنقيط، أو المغرب العربي في عرفنا الراهن.

أنظر: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، 1992، ص: 64.

– ابن خلدون، العبر، ستة مجلدات، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، مجلد 6.

2 – أحمد بدر، تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1401 هـ / 1981م، ص: 15.

3 – من أجل معلومات أكثر من الفتوحات أنظر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1964. ص: 33.

عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مجلد 6، ص: 214.

4 – عبد العزيز بن عبد الله، الأندلس والمغرب، وحدة وتكامل، مجلة المناهل عدد 31 السنة الحادية عشرة، ربيع الثاني 1405هـ دسمبر 1984م، ص: 74.

5 – احمد بدر، مرجع سابق، ص: 134.

6 – عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ص: 76.

7 – إحمد بدر، مرجع سابق، ص: 109.

9 – المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص: 219.

10 ـ المراكشي، المعجب، ص: 224.

11 ـ ابن رشد: ولد بقرطبة سنة 530هـ/ 1126 م وكان جده قاضي الجماعة فيها، درس الفقه والطب وانتقل الي مراكش حيث قربه خليفة الموحدين أبو يعقوب يوسف إليه، وولى القضاء بإشبيلية وقرطبة، درس أرسطوا وعلق على عدد من مؤلفاته، وأتهمه بعض الفقهاء بالمروق عن الدين، فأحرقت مؤلفاته في الفلسفة، له عدة مؤلفات منها تهافة التهافت، وهو رد على كتاب الغزالي تهافت الفلاسفة، وبعض الشروح على كتب ارسطو، وقد ترجمت كتبه إلى العبرية واللاتينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وكذا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وكان لها أثرها في أوروبا حتى منعها رجال الدين في القرن الثالث عشر الميلادي، وله كتاب في الطب يسمى الكليات، وقد ترجم، وكان له شأنه في أوروبا.

أنظر: خير الدين الزكلي، الأعلام ج 6 ص: 212. ليلى الصباغ، معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، المطبعة الجديدة، دمشق، 1402هـ 1982م، ص: 121.

12 – عبد العزيز بن عبد الله، المقال السابق، ص: 136.

13 ـ تاريخ اوروبا الحديث، مرجع سابق، ص: 120

***

عروة الزمان الباهي

للروائي الكبير عبد الرحمن منيف

الاستاذ محمد ولد تتا

صدر هذه السنة عن يسان للنشر والتوزيع بيروت والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء كتاب «عروة الزمان الباهي» للروائي الكبير عبد الرحمن منيف في 196 صفحة من الحجم المتوسط 14X22 سم حول حياة الصحفي الكبير الباهي محمد حرمة المتوفي في 04 حزيران /يونيو 1996

ا- لمحة موجزة

الكتاب كما يقول منيف- «فرضه الموت، واملاه الغياب فلوان الباهي محمد بقي حيا، او لم ينته بتلك الطريقة المفاجئة السريعة لما فكرت لحظة أن اكتب عنه» فقد كان الاكثر اهمية بالنسبة لي رصد حياته العارمة ومتابعتها وانتظار محطته الثانية خاصة وانه يعد بالكثير، وكان يهيء نفسه لرحلته الكبري الجديدة رحلة الكتابة الحرة الكتابة التي يحبها: المذكرات السياسية والرواية » هذا التماس بالباهي والرصد لحياته العارمة والتشوق الي محطته القادمة هذه العلاقة الانسانية الحميمة التي تحول بين الروائي الكبير وبين الكتابة عن الباهي حال الحضورهي نفسها التي تحدو به الي الكتابة عن الباهي حال الغياب ومع ذلك كان لابد من مسوغات لهذه الكتابة في زمن غدا فيه الوفاء لصديق «مات تخلفا" » لايليق بكاتب كبير: " فالباهي ممثل للجيل الذى ولد بين الحرمين وانطوى عليه ذلك الجيل من احلام كبيرة وخيبات اكبر وكان ممثلا لمرحلة تاريخية بالغة الاهمية والتأثير لما حملته من امكانيات واحتمالات وماوعدت به من نتائج لوانه تم التعامل معها بعقلانية وتخطيط .. وتواضع ايضا" (2) «ثم ان الباهي لوعاش كان يستطيع ان يقدم «شهادة» نفثة صدر قراءة للمرحلة من نمط معين خلاصة التجارب التي مربها اوعاشها » يغني بها حياة الاخرين حتى لا تدفع الاجيال اللاحقة ثمن تجارب دفعت اثمانها من قبل (3) في الكتاب الذي يرسم "الملامح العامة لسيرة هذا الانسان» يتوقف الكاتب عند عدد من المحطات:

-ولادة الباهي في « منطقة يحدها غربا المحيط الاطلسي، وجنوبا نهر السينغال وعند منهل من مناهل المياه، غير بعيد من النباغية، وكان ذلك عام 1930 «(4) ويصادف مولده متوفي العلامة اباه / محمد فال بن باب فيسمي باسمه تفاؤلا وتيمنا ويعيش حياة البداوة والتنقل « وفي المحظرة ، وهي الجامعة الشعبية التي تستقبل التلاميذ منذ وقت مبكر لتعليم القراءة والحساب اخذ يتلعم العلم ولاتمضى فترة وجيزة حتي يدرس الطفل الذى انتقل بعد وفاة والديه ،الي كفالة خاله الزعيم الوطني احمد ولد حرمه ولدبابا، « كتب الفقه المعتمدة والنحو ودواوين الشعر الجاهلي وفنونا اخري في اللغة والتاريخ وامور الدين ، إضافة إلى العلوم السائدة (6) وكان طبيعيا - بحكم التربية ان يجرد الباهي نفسه للكفاح الذي سيقوده الي جيش التحرير بجنوب المغرب المحطة الثانية في حياته محطة جيش التحرير بجنوب المغرب، وبعد ان انتهت « المعارك العسكرية المباشرة في المغرب قرر الباهي ان يستبدل سلاحا بآخر ، ان يعتمد القلم بدل البندقية وحين تقدم لمسابقة من اجل اختيار محررين لجريدة العلم كان في اوائل الناجحين وهكذا سيكون القلم سلاحا وحيدا منذ عام1956 وحتى اللحظة الاخيرة من العمر» (7) وخلال هذه المسابقة وقع خطأ في كتابة الاسم اباه فيكتب «باهي، ويروق الاسم الجديد للمحرر الناجح فيتخذه اسما له ويظل حاملا له حتي النهاية ولايعرف الا به » (8)

أما المحطة الثالثة في حياة الباهي ، فمحطة الثورة الجزائرية ، التي وجهته سنة 1961 الي بيروت التى لم يلبث ان اصبح بها «ضروريا وهاما لعدد متزايد من الصحفيين والسياسيين

فالثورة الجزائرية تتسع وتترسخ وتوشك ان تحقق انتصارها الكامل وكان لابد من وجود من يستطيع تقديم صورة مليئة بالتفاصيل والاسماء عما يدور هناك ولم يكن اقدر من الباهى علي القيام بهذه المهمة»(9) واحداث المغرب تتشابك وتتداخل، وكان يفترض وجود من يحلل ويفسر هذه الاحداث وما يمكن ان تؤدي اليه وليس اجدر من الباهي على تولي هذه المسؤولية.

ولئن كانت اقامة الباهى في بيروت قصيرة فانه « ترك اثرا لاينسى (10)وبعد بيروت نجد الباهى « احد الرسل الدين بعثوا الي فرنسا، الي باريس ليساهم مع آخرين في إدامة الثورة الجزائرية في تعزيز مواقفها في حشد قوى اضافية لها من اجل ان تنتصر(11) ومن هنا بدأ الباهي يقع « في هوى هذه المدينة (باريس) وسوف يعصف به ذاك الهوى الى درجة الادمان« 12) وحين تنتهي المحنة يلتحق الباهي بالجزائر العاضمة ويساهم بكل جهده من خلال «المجاهد» في بناء الجزائر الجديدة.. الجزائر المستقلة والمنتسبة لمحيطها العربي كان يقوم بعمل لم يتعود عليه فهو الآن في السلطة او عند تحومها ان لم يكن خلال القرار فمن خلال سلطة الثقافة والاعلام »(13) غير انه في ظل الشقاقات بين مناضلي الامس فضل ان ينسحب فعاد من جديد الي باريس(14)

ويرصد الكاتب في حديثه عن محطي الباهي الاخيرتين اسهام الباهي في مجال الكتابة الصحفيه والميزة الاساسية للكتابته التي لايتمتع بها «الا عدد محدود من صحفي المغرب » (15)108 ففي الكتابة الصحفية المغربية -كما يري عبد الرحمن منيف يخيم مناخا الترجمة واللغة التراثية (108) اما الكتابة الصحفية المشرقية فيطبعها في رأيه الترهل والانشاء والثرثرة والاديولوجيا والشعارات بحيث تضيع المعلومة او تختفي تحت هذا الركام الكبير(16) وقد استطاع الباهي ان يتفادي هذين اللونين من الكتابة باحترامه للتقاليد « الفرنسية من حيث الدقة في التعامل مع المعلومة واستبعاد الترهل في اللغة والثاني توظيف لغته المشرقة غير التراثية ولا المترجمة (17) ويقدم منيف في كتابه غير محطات الرحلة الباهية صفحات طويلة عن رؤية الباهي للكون وخواطره حول الاحياء ونباتات وحيوانات ايضا بشرا وكلبا واسماكا

كما يورد فصوللا اخر عن العلكة

الرواية الشعرية في حياة الباهي

فالباهي في باريس و"عروة" لخلافه من الشباب العربي، الذين نذروا انفسهم تظرفا للمبدء علي غرار الصعاليك في الجاهلية وصدرالاسلام (18) وربما كان ذلك سر أعجابه الذي لا حدود له بمالك بن الريب وبائيته المشهورة ويتصل بحديث الصعلية حديث الشعر فقد «جاء هذا البدوي من اقصى حدود الوطن من ضفاف نهر السنغال ف(...) كيف حفظ هذا المقدار الهائل من الشعر خاصة الجاهلي و ايضا كيف حفظ القرآن نصا ومعنى»(19) فمن يسمعه يتلو معلقة امري القيس يظن انه اخذها عنه مباشرة ومن يسمعه يردد معلقة طرفة بن العبد يعتقد ان طرفة فارقة للتوو اللحظة (20) والخلاصة ان « الباهي والشعر شيء عجيب (21) اما الرووايةة فقليلون هم الذين يعرفون ان رهان الباهي في هذه الحياة كتابة الرواية ومن الطريف ان الباهي كان بضيق بكثير من الروايات المكتوبة بالفرنسية من قبل كتاب عرب لانه « كان يريد شيئا أخر وبطريقه مختلفة ايضا إذا لايفترض ان يكون اسلوب القول الاوربي هو اسلوب القول الوحيد فالباهي المشبع بالتراث وطريقة القول العربية والمطلع علي الاساليب الحديثة في نفس الوقت كان يتوق للوصول الي قول خاص جديد وكثيرا ما اشار الي رواية اميريكا اللاتية وضرورة ان تكون الرواية العربية ملامحها المميزة(22)ورغم ذلك فان منيف لايدري ان كان الباهي قد كتب روايات لم ينشرها فيما عدا اوراق تركها عنده ببغداد سنة 1979 او رواية حدثه عن مواصلته العمل فيها، عنوانها ذاكرة الرمال(23)

وفي كتاب منيف إضافة الي ذلك لمحات شيقة من حياة الجيل الذي ولد بين الحربين وآماله والآمة علي حد السواء لقد كتب عبدالرحمن منيف في عروة الزمان الباهي» جزاءا من تلك الشهادة التي يلح على الباهي في كتابتها

2 ملاحظات سريعة

* يجد القارئ لكتاب عبدالرحمن منيف «عروة الزمان الباهي» جهدا محمودا في تقصى حياة الباهي وتصحيح بعض الاخطاء الشائعة في ترجمته كتحديده تاريخ الميلاد بسنة 1930 تاريخ وفاة العلامة محمد فال ولد باب (24) رغم ان ترجمة الباهي المنشورة في دليل اتحاد كتاب المغرب الذي يعتمد عادة على الاستمارات المكتونة من قبل الاعضاء انفسهم تحديد تاريخ بلاده سنه 1934 (25)

* يفيد الدليل المذكور ان رواية «ذاكرة الرمال» قد نشرت مسلسلة بجريدة الاتحاد الاشتراكي (26)

* إذا كان الكتاب قد توقف عند « اهم» محطات الباهي فقد بدأ (الكتاب) رحلته من ضفاف نهر السينغال ولم يتوقف عند المحطة الاولي (شنقيط، موريتانيا) ليتزود بالوقود على الاقل وليتجنب اشكالات من نحو كيف حفظ هذا المقدار الهائل من الشعر خاصة الجاهلي وايضا كيف حفظ القرآن نصا ومعنى (27) ولئلا ينسي ان الباهي ليس اول فتى يخرج من مضرب تلك القبيلة اوغيره من المضارب المجاورة حاملا في ذاكرته (ماخف حمله وغلاثمنه) ليكون شأنا في المشرق العربي فمن نفس المغرب خرج قبله بعقود صاحب الوسيط الخ...

* لا ادرى لماذا وجدت نفسى وقد انتهيت من قراءة «عروة الزمان الباهي اعود الي الصفحات الاولي» لقد آثرت تجنب اسلوب الرواية -رغم اغرائه (28) آثر منيف، حقا تجنب اسلوب الرواية ام الروائى الكبير لم يستطع ان يكتب رواية « عن الباهي» لانه ببساطة كان يريد ان يكتب ملحمة؟

لقد كان منيف يريد ان يكتب ملحمة الباهي الذي كان رهانه في هذه الحياة كتابة الرواية (29) تماما ، كبعض شخصيات منيف بل بالتحديد كبطل «شرق المتوسط» و«الرواية اي رواية يمكن ان اكتب لقد اخطأت مرة لقد سقطت مرة (30) «واشترى كمية من الاوراق وقلما جديدا « وقال انه سيبدأ الكتابة حالما ينتهي من قراءة الرواية » (31)

فما الفرق بين هذا وذاك وغيرهما من سكان « هذه الارض الغراء الممتدة الي ما لانهاية من شواطى المتوسط حتى الصحراء البعيدة".

الهوامش

1عبدالرحمن منيف عروة الرمان الباهي، بيسان للنشر والتوزيع والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء 1997 ص 7

2-عروة الرمان ص 8

3- نفس المصدر ص 8

4- نفس المصدر ص 19

5- نفس المصدرد ص 19

6- نفسالمصدر ص 20

7-نفس المصدر ص 84

8- نفس المصدر ص 19

9- نفس المصدر ص 44

10- نفس المصدرص 44

11- نفس المصدرص 91

12- نفس المصدر ص 92

13- نفس المصدر ص 98

14- نفس المصدرص 103

15- نفس المصدر ص 108

16- نفس المصدرص 109

17 نفس المصدر ص 109

18- نفس المصدر ص 144

19 نفس المصدر ص 29

20- نفس المصدر ص 175

21- نفس المصدرص138

23- نفس المصدرص 139

24- انظر مثلا تحقيق كتاب التكملة المؤسسة الوطنية للتحقيق والتحقيق والدراسات بيت الحكمة تونس 1986 ص

25- انظر دليل الكتاب المغاربة انجزة حسن الوزانى مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1993ص 38

26- دليل الكتاب المغاربة ص 38

27- عروة الرمان الباهى ص 29

28- نفس المصدر ص 10

29- نفس المصدر ص 135

30- عبد الرحمن منيف شرق المتوسط المركز العربي للدراسات النشر بيروت 1981ص165

31- شرف المتوسط ص 171

منزلة البحث اللغوي في تصنيف العلوم عند العرب

د. محمد ولد عبد الحي . جامعة انواكشوط

يمكن تبويب العلوم عند العرب – حسب مصادرها – إلي ثلاثة أبواب هي:

– العلوم التي كانت عند العرب قبل الاسلام في فترة الثقافة الشفهية وهي: الخطابة والشعر والاخبار.

– العلوم التي انبثقت عن النص القرآني، وتحولت معها الثقافة الشفهية إلي ثقافة مكتوبة مقروءة.

– العلوم التي طرأت بانفتاح الحضارة العربية الاسلامية على حضارات إنسانية أخرى: فارسية، هندية، وسريانية – يونانية.. وهي العلوم التي تمثلها شجرة الفلسفة بفروعها: المنطق – التعليم – التطبيقات – الالهيات – العلم المدني: أي المجتمع، والطبيعة، ومابعد الطبيعة، وقوانين الإدراك العقلي المرتبط باللغة: المنطق وبالرمز المجرد: التعليم.

إن تصنيف مادة يقتضي أنها أصبحت موجودة وجودا خاصا، بوصفها مادة واحدة فلا معنى لتصنيف مواد مختلفة، مالم يكن هناك مايوحدها، ومهما كانت العلوم قد وردت بصفة الجمع فإن ذلك لاينفي أن صفة العلمية توحد بينها، والعلم صفة مرتبطة بالادراك الإنساني، تحدد العلاقة بين هذا الادراك والشيئ المدرك، سواء أكان هذا الشيئ ملموسا أم مجردا، فللإدراك طبيعة؛ ومفهوم العلم يتناسب مع هذه الطبيعة. فقد لايعد وهذا الإدراك انعكاسا سطحيا للشيئ، وقد يحاوره فيجرد منه مفاهيم، ويدخل مفاهيم، ويدخله إلى قوالب نظامه القياسي، ويرتفع به من مستوى الخصوص إلي الكلي. وهذا المستوى الأخير هو الذي نقصد بالعلم هنا. فالعلم في هذا المستوى هو ثمرة تفاعل الفكر الإنساني مع الموضوعات، وتحليل مسائلها، واستنباط مبادئها.. والتصنيف هو جمع النظائر على مستوى يشمل الموضوعات، والمسائل والمبادئ قصد تسهيل التعامل معها: يجمعها الفكر في خاناته لتسهل عليه إعادة تركيبها بعد تحليلها.

وعملية الادراك العقلي هذه إنما تتم بتجريد المفاهيم والدلالات واختزانها في الذهن، وهذه مستحيلة بدون الدال اللغوي، ولولا ذلك لكانت الحيوانات العجم قادرة على تجريد المفاهيم مادامت مدركة، فاللغة، إذن، أداة كل علم، ومستخدم الاداة إذا لم يكن يعرف متى تكون سليمة، فإن عمله بها باطل، ومن هما كان العلم – أي علم –يستوجب البحث في اللغة ذاتها، ولكن كون اللغة أداة الفهم والافهام يجعل قوانينها الداخلية هي ذاتها، قوانين العقل الفاهم أيضا. ففهم هذه القوانين يقتضيه فهم النظام الفكري المولد لهذه العلوم. إذ العلوم هي ثمرة حوار هذا الفكر مع الأشياء المجشمة أو المجردة كما تقدم.

إذن فإن منزلة البحث اللغوي في مدونة العلوم عند العرب مركزية، فالابواب الثلاثة التي إليها بوبنا العلوم عند العرب أولها: لغوي محض: الخطابة والشعر والأخبار وثانيها : العلوم الشرعية المنبثقة من دراسة النص القرآني، وتفسيره، وتأويله، انطلاقا من ظاهر نصه وباطنه، من حقيقته ومجازه، من دلالته اللفظية، ودلالته السياقية، وهو بحث لغوي بحت.. أما ثالثها فهو: العلوم العقلية الخالصة التي تعتمد منطق العقل، ومنطق العقل يعني بحث أوجه الدلالة، ولايمكن الوصول إلي الدلالة إلا بواسطة الدال والمدلول: اللغة.

فكيف يتجلى الوعي بمكانة اللغة، هذه في مدونات تصنيف العلوم عند العرب؟ لئن كان جابر بن حيان (ت 168هـ 785م) قام بتصنيف للعلوم، وتبعه فيه أبو يعقوب الكندي (ت 250هـ / 865م) فإن تصنيفها كان أقرب إلى تصنيف أرسطو (ت

322 ق.م) : نظري، عملي، فلم يستقصيا العلوم، بحيث يعسر أن نلتمس عندهما مكانة المبحث اللغوي، فإننا نعتبر أن أقدم تصنيف عند العرب جاد نعثر عليه، فيه نوع من الضبط، هو تصنيف أبي نصر الفارابي (ت 339هـ / 950 م)، وقد تلته تصنيفات كثيرة، يمكن أن نرتبها حسب الأهمية على النحو التالي:

1 - تصنيف تكويني:

أبرز ممثلية هم : الفارابي. إخوان الصفاء (ق 4هـ) عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ 1406)، محمد اعلى الهانوي (ت بعد 1157هـ / 1743).

2 - تصنيف غائي : أبرز ممثلية ابن حزم الظاهري (ت 456هـ 1964م) ، أبو حامد الغزالي(ت 505هـ / 1112م) .

3 - تصنيف معياري: أبرز ممثلية ابن النديم (ت 378هـ 989م)، محمد بن عبد الله الخوارزية الكاتب (ت 387هـ 997م).

هذه التصانيف الثلاثة نستعرضها كما يلي:

1 - التصنيف التكويني:

- صنف الفارابي العلوم في كتابه (إحصاء العلوم) إلي ثمانية أصناف أوبين أجزاء كل واحد منها في داخله فرتبها على النحو التالي :

1 - علوم اللسان

2 - المنطق

3 - التعاليم

4 - الطبيعيات

5 - الإلهيات

6 - العلم المدني

7 - الفقه

8 - الكلام

ولئن كانت منزلة "علم اللسان" هي الصدارة فإنه لابد أن نتساءل عن الأساس الذي بنى عليه هذا الترتيب. لقد حدثناأبو نصر في مقدمة الكتاب أن من فوائد هذا الكتاب أنه يسهل على الطالب معرفة رتب العلوم، ليعرف بماذا يبتدئ في تعلمه. فهل هذا هو الترتيب الطبيعي لها، من حيث الأهمية؟ وإذا اعتبرنا أن علم اللسان هو البداية، إذ هو الأداة الأولى لأي علم، والبوابة الوحيدة لفهم وإدراك أي أمر، وأن المنطق هو قانون هذا الفهم، أو أن علم اللسان هو قانون اللفظ، والمنطق هو قانون المعني (كما يقول أبو سليمان المنطقي في المقابسة الثانية والعشرين من مقابسات التوحيدي)، وأن التعليم هي المستوى الرفيع من التجريد العقلي بحيث هي الخطوة الثالثة بعد المنطق. فبما نفسر كون الطبيعيات والإلهيات تقع قبل الإنسانيات؟ فإذا اعتبرنا أن الطبيعيات هي موضوع البحث العقلي الأول، باعتبار أن الانسان اكتشف تميزه عن بقية الحيوانات عندما بدأ يتحاور مع الطبيعة، فكيف نفسر تقديم مابعد الطبيعة مباشرة بعد الطبيعية، وقبل علوم المجتمع التي هي من عالم الطبيعة؟ وكيف نفسر فصل علوم المجتمع والفقه بين الإلهيات وعلم الكلام؟ إن النموذج التكويني النسقي الذي يقدمه أبو نصر في الباب الخامس من (كتاب الحروف) يدعم نظريا مكان الصدارة الذي أسند للبحث اللغوي في (كتاب الاحصاء)، فأول شيئ يتعلمه الانسان ليستعيض به عن الإشارة هو الحروف التي منها يكون كلمات، ثم بالتراكم تحدث صناعة الخطابة الاقناعية، ثم صناعة الشعر التخييلية، ثم بعد تراكمهما، وضغط الحاجة، يحدث نظام الكتابة، وبعده تبدا الحاجة لتدوين مفردات اللغة، ثم يستنبط نظام الكلام: التركيب، فتحدث صناعة النحو... ثم بعد هذا يتوجه النظر إلى المحيط ، فينشأ مختلف العلوم الطبيعية اعتمادا على آلية القياس الخطيبي، واستخدام العقل درجة من الرقي تمكنه من اكتشاف نظام القياس البرهاني الدقيق، فتنشأ صناعة المنطق، كما كانت عليه الحال في عهد ارسطو - وبعد هذا تنشأ العلوم المليّة، فيحدث علم الفقه، ثم علم الكلام، بوصف موضوعه أدلة مجردة موضوعها مابعد الطبيعة..

هذا الترتيب الذي صرح الفارابي بأنه الترتيب الزمني لنشأة العلوم عند الانسان، يختلف ايضا من بعض الاوجه عن ما رأينا

عنده في الاحصاء، فهو لئن برر الموقع الذي تحتله علوم اللسان في الصدارة، فإنه لايبرر جعل المنطق يقع مباشرة بعدها، إذ المنطق - حسب ماقال - لايظهر إلا عند نقطة نضج كافة العلوم غير المليّة، ويجعل كذلك تقديم التعاليم على الطبيعيات غير سليم، ويفصل بين العلم المدني والفقه، وموضوعهما واحد هو المجتمع وقد يشفع لذلك كون الأول ينتج من الاجتماع البشري، والثاني من علوم الملة: تعامل الفرد مع صاحب الشرع، ومع المجتمع من منظار الشرع، وهو مايربط الفقه بالكلام.. لكن لابد أن نتساءل: مامعنى عدم وجود الإلهيات قبل وجود الملة في نظرية تكوينية؟ هل معناه أن الانسان لايفكر فيما وراء الطبيعة إلا بعد أن يتم له اكتشاف نظام الطبيعة، ونظام المجتمع؟ ومادام وقد حدد ظهور المنطق في السيرورة البشرية بعهد أرسطو، فهل معناه أن الإلهيات لم تكن موجودة قبله عند سقراط وغيره من أسلافه الفلاسفة؟ على ان الاهم بالنسبة لنا في هذا المقام انما هو مكانة البحث اللغوي ونحن امام تصنيف بدت فيه مكانته جلية، فهو آلة كل صناعة بل هو آلة الصناعة.. فلامعني للصناعة بدونه والفارابي وان بدأ نموذجه في نشأة اللغة مستمدا من تطور اللغة العربية فانه ينبه في النص نفسه (الباب الخامس من كتاب الحروف) الى أنه إنما يعني امرا كليا حتى تبلغ العلوم الي ماكانت عليه في عهد ارسطوا وكذلك يفعل في التقسيم الداخلي لعلم اللسان (كتاب الاحصاء).. "الالفاظ الدالة في لسان كل امة ضربان.. الفاظ مفردة والفاظ مركبة"... واذا كان الامر بهذا المستوي من الوضوح في مشروع ابي نصر الفارابي التكوني فماهي حاله في تصنيف مجموعة من العلماء ذوي النزعة الكونية في المعرفة عاصروا الفارابي هم : اخوان الصفاء!

- يصنف اخوان صفاء في (الرسائل) العلوم البشرية الي ثلاث مجموعات هي:

١ - العلوم الرياضية، الآداب الدنيوية التي ترمي الي ا ن توفر للإنسان سعادته في الدار العاجلة وهي كافة الحرف وأولها علوم اللغة وضمنها الحساب والتحرر والتنجيم والطلسمات والكيمياء والجبر...

٢ - العلوم الشرعية الوضعية التي ترمي الي أن توفر للإنسان النجاة في الآخرة.

٣ - العلوم الحقيقية التي تكفل للإنسان السعادة .. الطبيعيات. الرياضيات. الالهيات. السحر. التنجيم. الطلسمات. الكيمياء. (الرسالة الثامنة من الرياضية)

لقد امتاز هذا التقسيم عن سابقه بالاعتماد على الوظيفة: السعادة في الدنيا. السعادة في الآخرة، والسعادة المجردة.. وهو ماجر الي التداخل، بحيث أن بعض العلوم يظهر في هذه الخانة وفي تلك معا. ولئن امتاز المبحث اللغوي عند الفارابي بمركزية الدور فإنه هنا لايعدو ان يكون حرفة ككل الحرف، من نجارة وحدادة وغيرهما... وهو مستقل تماما عن العلوم الشرعية رغم التصاقه المتين بهذه المعارف العربية الاسلامية. فكأن نزوع اخوان الصفاء الي كونية المشروع المعرفي حدى بهم الي ان لايولوا وقائع ملموسة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية أهمية، بوصفها استثناء لايمس القاعدة العامة. هذا مع أنهم عرفوا العلم في رسالة الحدود والرسوم بأنه صورة المعلوم في نفس العالم. وقالوا في رسالة مبادئ الموجودات أن كل معنى في فكر النفس بلا لفظ يعبر عنه فهو بمنزلة روح بلاجسد وإنهم يتفقون مع الفارابي في نشأة الحروف والالفاظ عند الانسان.. ولكنهم لم يولواهتماما لدور المبحث اللغوي ككل .. ولعل اهتماماتهم السياسة والعقدية تصرفهم عن ما انشغل به الفارابي الفيلسون المتمحض للفلسفة ولجز البنية الفلسفية بالبنية الفكرية العربية ذات الطابع اللغوي النصي.

٢ - التصنيف الغائي:

كيف نظر اصحاب المنزع الغائي ممن تغلب عليهم سمة علماء الدين وان كانوا مع ذلك فلاسفة الي منزلة المبحث الانساني في شبكة المعارف عند الانسان؟

أ - من هؤلاء نأخذ مثالين: أولهما ابن حزم في رسالة تقسيم العلوم التي صنف فيها العلوم الي سبعة اصناف كبرى ثلاثة منها تختص بها كل أمة هي: اللغة والشرح والاخبار واربعة مشتركة بين سائر الامم هي: الطبيعيات التعاليم والفلسفة

والإلهيات.

- ويعود فيصنفها تصنيفات أخرى من حيث هي: شرعية، - أو غير شرعية، ليحصر الاخيرة في: السحر والموسيقى اللذين انعدما ثم الكيمياء التي لم تكن قط سوى وهم، أما بقية العلوم سبعة هي بمنزلة الآلة للفقه والتوحيد وهي:

- الخط
- القراءة
- النحوواللغة
- التعليم
- المنطق
- الطبيعيات
- التواريخ.

وللتعمق في علوم الآلة اكثر من الضروري للغاية "فضول" خصوصا في النحو إلالمن يتعيش به وطلب المال بالعلم تحريفا له عن غايته. أما الشعر فثلاثة اصناف

١ - مستحب هو شعر الحكمة كشعر حسان بن ثابت وابن رواحة وكعب بن زهير وصالح بن عبد القدوس.

٢ - مباح: وهو الرثاء والمدح بالحق والهجاء والتقرير.

٣ - محظور: وهو شعر الغزل والحرب.

إن موقع المبحث اللغوي هو الصدارة كما كان عند الفارابي، وابن حزم فقيه ينظر بمنظار الغاية الدينية المتعلقة بالآخرة - لابالحياة والرؤية التكوينية الشمولية فللغاية محددة وكلة شيئ في سبيلها. ولكن بما أن فهم الشرع ومقاصده، وطلب علمه واجب، وطلب العلم لايكون إلا بسماع وقراءة وكتابة فإن وجه التوصل اليه الوحيد هو علوم اللسان اولا، وعلوم الآلة الاخرى ثانيا. ولكن لاينبغي أن تتحول الوسيلة الي غاية. وهذا ماجعل ابن حزم يندد بتقعر النحاة ومحاكاتهم التي تنطلق من فروض وهمية لتدور علي وجهها. هذا رأي ابن حجر فماهو رأي حجة الاسلام ابي حامد الغزالي؟

ب - يصنف الغزالي في (كتاب العلم) الذي افتتح به عمله الضخم (احياء علوم الدين) العلوم التي بها ينتظم امر الدنيا الي اربعة أصول هي:

- الزراعة للمأكل
- الحياكة للملبس
- البناء للمسكن
- السياسة للاجتماع.

وللثلاثة الاولى حرف مهيئة وأخرى متممة. أما السياسة فهي اشرف العلوم وهي اربعة:

١ - سياسة الانبياء التي تشكل الظاهر والباطن أي الخاصة والعامة.

٢ - سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين، وهي للعامة وفي الظاهرة فقط.

٣ - سياسة العلماء وهي للخاصة وفي الباطن فقط.

٤ - سياسة الوعاظ، وهي للعامة وفي الباطن فقط.

وأشرفها سياسة الانبياء ثم العلماء. ومنه فعلم السياسة هو علم الظاهر والباطن، أي علم اصلاح الجوارح والقلوب. وهو خاص مضنون به علي غير أهله. وعام واجب. والوجب هو: (اعتقاد وفعل وترك) وهو غير شرعي، وغير شرعي منه. أ - واحد مذموم هو:

- السحر
- الشعبذة
- الطلسمات

٢ - مباح - هو: - الشعر الذي لاسخف فيه

- التواريخ
- الاخبار

٣ - محمود، ترتبط فيه مصالح الدنيا هو:

- الطب
- الحساب
- أصول الصناعات، وهي فرض الكفاية، والتعمق في معرفتها فضلية.

ب - أما الشرعي فهو:

- علوم الانبياء المحمودة كلها إذا لم تصرف في غير وجهها

وهي :

ا - اصول هي:

- القرآن

- السنة

- الاجماع

- اثر الصحابة

II- فروع هي مافهم من الاصول:

أ - فقه متعلق بمصالح الناس:

- عبادات

- معاملات

ب - فقه متعلف باحوال القلب المتعلقة بمصالح الآخرة..

- المنهجيات.

- المهلكات

III- مقدمات: من نحو ولغة إذ هي آلة القرآن والسنة، وليست في الاصل من علوم الشريعة. وإنما عرض لها أن اصبحت منها بأن القرآن نزل بلغة العرب، وكل شريعة إنما تنزل بلغة، فيصبح علم تلك اللغة فرضا.

٤ - متممات وهي:

- علم القراءات

- علم الاصوات

-علم التفسير

- العلم بالرجال

- أصول الفقه.

وكل هذه العلوم دنيوية في اغلبها، ولكن الدين لايتم إلا بها (إذ الملك والدين توأمان) أما الفلسفة فليست علما برأسها، وانما هي اربعة فروع الرياضيات ، الطبيعيات، ومافي الشرع منهما، فقد ذكر في قائمة فرض الكفاية ومخالفه (فهو جهل لاعلم) أما المنطق والالهيات فهما داخلان في علم الكلام.

هذه قائمة اصناف العلوم كما أوردها الغزالي (في كتاب العلم) (الاول من احياء علوم الدين) ويقول الغزالي في شأن مبحث اللغة خاصة: فأقتصر من شائع علم اللغة على ماتفهم من كلام العرب وتنطق به (...) وأدع التعمق فيه، واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة ، فمامن علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء (المحضر نفسه) وعلي الرغم من أن الغزالي عندما يبدأ مخاطبة صاحبه المفترض يأمره بأن يبدأ بنشر علم احوال القلب، ثم الفروض، ثم الفروع، ثم علوم اللغة والنحو... فمن البين أن معرفة كل هذين تتوقف على معرفة الآداة الموصلة الينا. علي ان ابن حزم والغزالي فقيهان متفلسفان، اهتمامهما الاول هو العلوم الدينية ثم العقلية، في الدرجة الثانية، وقد عايشا فترة المدارس النحوية المتخصصة التي ابتعدت نوعاما، عن العلوم الدينية التي نشأ المبحث اللغوي في أحضانها، وتطورت في كنفه، وأصبحت حلقات النحو تشد اليها جمهورا كبيرا، وتشغله عن غيرها، فقد يكون ذلك مادفع ابن حزم ومن بعده تلميذه ابن مضاء (ت ٥٩٢هـ) - الي التشنيع على النحاة ومادفعهم الغزالي الي الالحاح على الاقتصار على الضروري. ولكن الأصولي لايمكنه إلا الابتعاد عن علوم اللسان لأنها مجال نشاطه وكيف للفكر أن يولد إلى مالانهاية - كما يقول الغزالي في كتاب التفكر - بدون اتقان اللغة.

كان مشغل فلاسفة المسلمين تكوينيا - أي كيف تنشأ العلوم عند الانسان وتتطور، وقد جاءت اللغة ومبحثها في البداية لأنها التي بها يحول الانسان الادراك إلى وعي. ثم كان مشغل الفقهاء الفلاسفة غائيا أي قائما على علوم الغاية التي هي أصول الدين وفروعها. وجاءت اللغة ومبحثها عندهم في الدرجة الثالثة بعد الاصول والفروع من حيث المنزلة لأنهما ليسا إلا وسيلة للغاية. ولكن كونهما وسيلة يقتضي أنهما سابقان على الغاية لأنهما الوسيلة اليها. فلئن تأخرا منزلة فإنهما متقدمان عمليا.

فكيف كانت نظرة المثقفين العرب والمسلمين الذين عاصروا فترة الازدهار الي منزلة المبحث اللغوي بغض النظر عن موقعه في نشأة العلوم أو وظيفته ضمنها؟

***

الوقاية من الأيدز والأمراض المنتقلة جنسيا

د محمد وكر خنيفه

تشكل الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس أوسع مجموعات الأمراض السارية انتشارا في غالبية البلدان ولازالت مستويات حدوث هذه الأمراض مرتفعة بشكل غير معقول وخاصة بين الشباب وهي حوالي 250 مليون إصابة سنويا.

وقد تبين أن أكثر من عشرين عدوى مختلفة تنتقل عن طريق الجنس وقد بدأت بعض عوامل هذه العدوى وخصوصا الفيروسات تحل محل الأمراض الجرثومية التقليدية سواء من حيث الأهمية أو من حيث التواتر.

أولا: أسباب زيادة الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس:

1 – التغييرات التي حدثت في السلوك الجنسي والاجتماعي نتيجة التحضر.

2 – الاتصال الجماهيري وتيسر عدة شركاء في الجنس.

3 – سهولة السفر

4 – استعمال وسائل الحمل الحديثة كالحبوب واللوالب.

5 – زيادة الموارد المالية

6 – زيادة إدمان الكحول والمخدرات والتدخين.

7 – الحرية الشخصية في الغرب والانتشار بين الدول.

8 – اللواطيين.

9 – البغايا.

10 – التأخر في علاج الأمراض المنقولة جنسيا.

2 - السيلان:

– مرض ينشأ عن الاتصال الجنسي.

– سببه جرثومة النسريات.

– فترة الحضانة بين يومين وخمسة أيام.

تتميز الاعراض بدورين:

أ – دور السيلان: حيث تلتهب الاعضاء التناسلية الخارجية ويخرج من الاحليل والمهبل سائل اصفر ضارب الي الخضرة مع حرقة بولية وآلام حوضية وضخامة عقد لمفاوية ووذمة واحمرار في الاعضاء التناسلية.

ب – دور المضاعفات: وتختلف في الرجل عن المرأة حيث تتجلى في الرجل بالتهاب البروستات والتهاب اليربخ والخصية وفي المرأة بالتهاب غدد سكان وغدد ابروتولان والتهاب المثانة وقناتي فالوب.

اضافة الي مضاعفات مشتركة كالتهاب الملتحمة والتهاب المفاصل والتهاب الجلد ويسبب لدى المرأة الحامل ولادة قبل الأوان واصابة الوليد بالسيلان الذي قد يؤدي للعمى.

– يتم التشخيص عن طريق الفحص المخبري للسائل الاصفر – العلاج متوفر بالمضادات الحيوية.

3 - داء الشعرات (التريكوموناس)

– سببه طفيلات سوطية تسمى المشعرة المهبلية وتوجد في أماكن مختلفة مثل المهبل الاحليل في الرجال والنساء والمثانة.

أ – فترة الحضانة 4 أيام وحتى 3 أسابيع.

الأعراض:

في الرجال افراز احليلي قليل مع حرقة عند التبول وتكرار مرات البول.

في النساء افراز مهبلي ذو رائحة كريهة وألم فرجي مهبلي وعسرة الجماع اضافة الي حرقة بولية.

العلاج متوفر.

ثانيا: المجموعات الاكثر مخاطرة او تعرضا للإصابة.

- مجموعات العمر

20-24- سنة لكلا الجنسين

20-24- سنة للرجال

16-24-سنة للنساء

- الأشخاص الذين يسافرون كثيرا.
- البغايا أو المومسات.
- اللواطين.
- أفراد البحرية التجارية والعاملين في مجال الطيران.
- الذكور غير المختونين.
- وجود حروب وكوارث.
- المجندين وعمال بعض المهن.
- المختونين من النساء.

ثالثا: طرق انتقال هذه الأمراض:

- الاتصال الجنسي الطبيعي أو الشاذ.
- المواليد والرضع بانتقالها اليهم داخل أو أثناء الولادة.
- بالنسبة لفيروس العوز المناعي البشري قد يصاب الرضيع عن طريق الرضاعة الطبيعية.

رابعا: العواقب والمضاعفات:

- تحدث هذه الأمراض أرماد في العين تؤدي إلى العمى أو تحدث التهاب رئوي بين الأطفال الذين تنتقل اليهم العدوي اثناء الولادة مما يؤكد تأثير هذه الامراض على الحمل وعلى الولادة.
- الاصابة بالقروح التناسلية المؤلمة في البالغين نساء ورجالا.
- اصابة النساء بامراض الحوض الالتهابية - والآم الحوض المزمنة - العقم.

إصابة الذكور بالتهاب الاحليل والبربخ والعقم.

- بعد حدوث العدوي الاولية قد يؤدي المرض المنقول جنسيا كالزهري (السيفلس) والايدز الي موت الاطفال البالغين على حد سواء.
- قد يسبب المرض المنقول جنسيا موت المريضة بطرقة غير مباشرة عند حدوث الاجهاض التلقائي أو الحمل خارج الرحم، أو سرطان عنق الرحم.
- هناك شواهد أكيدة على ان الامراض الشائعة المنقولة جنسيا تسهم في انتشار مرض الايدز.
- تسبب هذه الامراض اعباء اجتماعية ثقيلة إذ يجب ان تكرس الكثير من وقتها لمواجهة عواقبها، وكذلك تسبب هذه الامراض انخفاض انتاجية الرجال والنساء مما يسبب خسائر جسمية في الدخل القومي.

خامسا: اهم الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس:

1 - الزهري (السيفلس)

- هو مرض مزمن معدي. وينتقل الي الجنين وهو في الرحم.
- سببه جرثومة اللولبية الشاحبة.
- مدة الحضانة تمتد من 10 - 90 يوما.
- يتميز بظهور تقرحات تناسلية في مناطق متعددة، مع ضخامة في العقد اللمفاوية المنطقية.

يمر المرض بثلاثة ادوار:

1 - الدور الاول: دور القرحة: ويتميز بظهور تقرحات على الاعضاء التناسلية أو على اجزاء اخري من الجسم مع تفاعل العقد اللمفاوية القريبة من مكان الاصابة.

2 - الدور الثاني: يتميز بغزو جرثومة المرض للجلد والاغشية المخاطية المختلفة وظهور الطفح الجلدي مع الشعور بالتعب والأرق والصداع والالام المعممة وترفع حروري وزلال في البول.

3 - الدور الثالث: حيث يتميز الدور الثالث بشمول تلف جميع انحاء الجسم وظهور الدمامل النازة المختلفة واصابة القلب والاوعية واصابة الجهاز العصبي ويتم تشخيص المرض في المختبر عن طريق اختبارات مصلية على دم المريض.

والعلاج متوفر بالمضادات الحيوية.

4. داء المدثرات التناسلي:

سببه طفيليات تمتلك صفات الجراثيم والحمات تسمى اكلاميديا

- فترة الحضانة من 2 - الي 3 اسابيع

- الاعراض: افراز احليلي ومهبلي وحرقة عند التبول والآم حوضية وتناسلية

- العلاج : متوفر

5 - داء المبيضات:

- سببه فطر يشبه الخميرة يسمى المبيضة البيضاء.

- ليس لها فترة حضانة محددة.

- توجد عوامل مؤهبة ومساعدة على الاصابة بها مثل الداء السكري - الحمل - استخدام المضادات الحيوية واسعة الطيف - موانع الحمل الفموي - العلاج بالسيتروئيدات - العلاج بمضادات المناعة - إضافة لفقر الدم.

الأعراض :

حكة مع تهيج الفرج والمهبل وإفرازات مهبلية بيضاء وعسر الجماع وحرقة مع التهاب الحشفة والقلفة لدى الرجال وحرقة بولية.

العلاج متوفر.

6 - الحلاء التناسلي:

- سببه حمة راشحة

- مدة الحضانة 4 - 5 أيام.

- الأعراض تتميز بوجود حويصلات تناسلية ثم تقرحات تناسلية مع ضخامة العقد الاربية واصابة عنق الرحم بالتهاب والتهاب الاحليل وقد يحدث احتباس بولي مع ألم نتيجة التقرحات.

- العلاج ممكن بمضادات الحمات والنظافة.

7 - التاليل التناسلية:

- تتواجد في المناطق التناسلية والمناطق الشرجية والمستقيمة.

سببها الحمة البابوفية وتنتقل عن طريق الالتماس المباشر من شخص لشخص -

مدة الحضانة 3 اسابيع إلى 8 شهور ووسطيا حوالي 3 اشهر.

الاعراض :

مظهر التاليل واضح وكذلك انتشارها ويزداد نموها بوجود افراز مهبلي أو افراز مستقيمي أو الحمل وافرازات تحت القلفة وعند عدم النظافة الشخصية.

- توجد علاجات خاصة لها.

8 - القرحة الرخوة:

- سببها جرثومة صغيرة من نوع العصبيات السلبية الغرام تسمى هيموفليس ديكراي.

- مدة الحضانة قصيرة من 1 - 8 أيام.

الأعراض :

تتميز بتقرحات تناسلية مؤلمة ومتعددة مع ديبلات أربية وضخامات عقدية.

- العلاج متوفر.

9 - الورم الحبيبي الاربي

- سببه جرثومة عضوية سلبية الغرام تسمى الدنوفانية الحبيبية.

- فترة الحضانة غير محددة من أيام حتى شهرين.

الأعراض:

قرح تناسلية - حبيبومي

العلاج : متوفر

10 الورم الحبيبي اللمفي التناسلي

- سببه المتدثرة الحثرية.

- مدة الحضانة 4 - 35 يوم.

العلامة الرئيسية هي الدبل الاوروبي (ضمامة العقد الاوروبية) إضافة الي حويصلات او حكاكات غير مؤلمة على الاعضاء التناسلية أو تقرحات بسيطة والعلاج بمضادات الجراثيم.

****

الاعلام والاسرة

عيشة بنت محمد محمود

لم يعد الاعلام يقتصر على تقديم الاخبار الدقيقة أو نشر الحقائق والمعلومات وبثها فقط، كذلك لم يعد للتشويق والتسلية وإنما أصبحت مهمة الاعلام هي الحواربين جميع فئات المجتمع، والاعلام في أحد مفاهيمه نوع من التعبير عن الرغبة في التواصل مع الآخر.

وقد اصبح الاعلام هو القناة الرئيسية لبث أو نشر كل أنواع المعارف والعلوم والآداب والفنون والافكار والآراء والمعتقدات فهو مرآة الانسان المعاصر.

كما أنه الوسيلة الاقوى في اقتلاع الحوجز النفسية والثقافية ومحو الحدود الزمانية والمكانية.

ومع مطلع النصف الثاني من القرن الماضي تباينت المستويات وامتلكت بعض الأمم المعلومات والتكنولوجيا دون البعض الآخر وانتشرت المطابع في بعض البلدان، وتم استخدام وتطوير السينما وبدأ الوعي الفردي يتطور، خصوصا بعد اختراع التلفزيون والكامبيوتر، ومراكز المعلومات، والتوابع الصناعية المختلفة، وصناعات الفضاء.

وأصبحت لكل من هذه الوسائل خصائصه التي تفرض وجوده، حسب الزمان والمكان، وحسب حالة المتلقى الاجتماعية، مستمعا كان أو مشاهدا أو قارئا، ووجدت الاسرة نفسها أمام كم هائل من وسائل الاعلام، وعليها في فترة وجيزة أن تتعامل مع هذه المادة الجديدة. كما أصبح عليها أن تتقبل الواقع حتى ولوكان مغايرا لواقعها وخصوصيتها التي سرعان ماتفقدها تحت وطأة الشائع والغالب الذي يكتسب سلطته من شيوعه وغلبته، وليس من الأصالة والتميز.

ونتيجة لذلك فمن اللازم الآن مراجعة الأسس التربوية داخل الأسرة، فمنع الصغار مثلا من متابعة التلفزيون، يكاد يكون أمرا مستحيلا، وهي تجذبهم ساعات طويلة وتحرمهم في نفس الوقت من تنمية مهاداتهم اللغوية، عن طريق الاتصال الشخصي والمحادثات الحية مع الآخرين، خصوصا في مجتمعنا الذي هو من المجتمعات المفتوحة، وتعتمد فيه تربية الأطفال علي عنصر المحادثة والوسط المعيش.

هؤلاء الاطفال معرضون أكثر من غيرهم للتشريد والفصل عن الذات وحتى عن الهوية الثقافية، والخصوصية الحضارية للمجتمع، والاسرة وحدها هي التي تستطيع مواجهة الموقف، والمشكلة ليست في الكم الهائل من وسائل الاعلام وانما في العقلية التي تتحكم في هذه الوسيلة وتوجهها وتستعمله الأغراضها الخاصة، فالام مثلا، يمكنها أن تجعل مشاهدة طفلها للتلفزيون تشاطا إيجابيا منذ البداية. حيث يمكنها تشجيعه علي مشاهدة البرامج المفيدة ومراقبة مايشاهده للتعرف على النوعية التي يفضلها طفلها.

وتشرح له في نفس الوقت أن مشاهدة التيلفزيون لابد أن يكون لها هدف وحدود وضوابط، وهو مايجعل الطفل يفكر فيما يشاهده، وبالتالي يكون مشاركا ومحاورا لأمه في كل شيء.

كما أن طرح الاسئلة عليه حول مايشاهده قد ينمي لديه مهارات مختلفة لعل أهمها مهارة التركيز، خصوصا أن الطفل عادة يفضل أن يكون صوت التلفزيون عاليا، وهي عادة تستطيع الام التغلب عليها بضبط درجة الصوت حتى لاتؤذي حاسة السمع لديه، فالجلوس معه حتى ولو كان أثناء المشاهدة، أفضل بكثير من تركه في عزلة مع جهاز التلفزيون، أو غيره من وسائل الاعلام لأن ذلك يساعد علي تنمية العزلة الاجتماعية.لذلك فالتعامل الصارم مع الآلة قد يؤدي مع مرور الزمن – من الوجهة النفسية – الي فقدان حس الابداع لما يلعبه الخيال، والاحلام، واللاشعور، من أهمية في تاريخ الابداع والاختاراعات البشرية، والذي يجب أن نعيه أكثر في هذه الفترة بالذات، هو أن هذه الأجهزة تحمل الينا ثقافة نقل وتكرار اكثر من كونها ثقافة تفاعل وتمثل وابداع.

الإعلام والتغير الثقافي في موريتانيا

الاستاذ محمد المختار ولد المصطفى

إن إختياري لهذا الموضوع يأتي إستجابة لرغبة شخصية أملتها علي طبيعة المتهم بالقضايا الإجتماعية أو المتخصص في علم الإجتماع الذي يقع ضحية لتحديات الأحداث المماثلة للدراسة وتتبع العوامل المتحكمة فيها منقادة للإستجلاء واستخلاص القواعد المنظمة لسيرورتها، ووضعها مادة سهلة لرجال التنمية والإنماء الثقافي وتوجيه مسيرة المجتمع في هذا العالم الصائر دائما وأبدا. ولكن الأوضاع الذاتية والظروف الموضوعية تجعله رغم ذلك عاجزا عن مواجهة هذا التحدي إذ ليس بإمكاني دراسة هذا الموضوع دارسة علمية منهجية تعتمد أساليب التحقيق العلمي والقياسات الكمية والنوعية ووضع الفرضيات النظرية والتأكد من مصداقيتها في الواقع إلا أن الإمكانية الوحيدة أمامنا الآن هي أن نتأمل حول الموضوع ونحلل تحليلا نظريا، قليل الفائدة مقارنة بإمكانيات البحث العلمي، وحسبي في هذا المقام أن أثير روح البحث وأستفز أصحاب الإمكانيات والمكانات العلمية في جامعتنا الفتية وفي مراكز البحث العلمي الوظيفية وشركائنا في هذا المجال عسى أن يوجد من بينهم من يشد إهتمامه هذا الواقع الذي يتحول ويتغير ويتفاعل، هذا المجال الخصب لمختلف الدراسات الإنسانية والأنترو بولوجية، والتربوية والاعلامية وعلم النفس السيولوجية... الخ وأتمنى أن أجد جهة علمية تهتم بجدية هذه المجالات لتفهم هذا الواقع وإمداد البشرية بصورته الحقيقة. والقوانين الإجتماعية التي تحكم في هذه الظواهر.

ورغم إضراري لطريقة التأمل هذه إلا أنني والأغراض إجرائية سأقسم الموضوع بإعتبار مكونات العنوان إلى ثلاثة محاور وخلاصة واضعا الروابط التساندية بين مفردات هذا العنوان "الإعلام، تغير، ثقافة" تاركا مفهوم الواقع الموريتاني لضرب الأمثال وتوضيح المقال. لتكون صياغة الموضوع في إطار هذه المعالجة" أثر الإعلام في تغيير الثقافة" في موريتانيا، وهكذا فإن المحور الأول سيدور حول مفهوم الإعلام. أهدافه، وسائله حرية الرأي، أما المحور الثاني فسيكون التغيير مفهومه، مجاله، إتجاهاته، والمحور الثالث الثقافة، المفهوم، الخصائص، الثوابت والمتغيرات الثقافية وخلاصة عن العلاقة بين الاعلام والتغيير الثقافي بأمثلة من الواقع الموريتاني.

أولا : الإعلام(المفهوم. الزهداف. الوسائل. وحرية الرأي)

حياة الكائن الحي تدين باستمراريتها للإضافة أو الأخذ من مشمولات المحيط أو مايعبر عنه في علوم الحياة بخاصية التمثيل الغذائي والإنسان ككائن حي يتمتع بنفس الخاصية وبصفته المميزة يتشكل بفعل التمثل المعرفي الذي يتراكم ويتفاعل بدرجات تحددها مستويات الإتصال والأخذ والعطاء. وهي مماثلة يلجأ إليها السوسيولوجيون والأنتربولوجيون خاصة المدرسة الوظيفية" - رايد كليف براون وغيره .. استعرضناها لتبرير فرضية لما نعرب عنها صراحة، ولكن استعراضها في بداية تحديد إجرائي لمفهوم الإعلام نقترحه علي الذين لايؤمنون إيمانا مطلقا بوثوقية التحديدات السابقة إذ أننا لانريد لأي كان أن يتأسى بتعريفنا كما لم نلتزم حرفيا بما يرمي إليه غيرنا ومن هنا فانه بإمكاننا التعامل مع مفهوم الإعلام بإعتباره "مجموع

العمليات والأساليب والوسائل التي يقوم بها الأفراد أو المجتمعات المحلية أو الدولية قصد تبادل المعلومات والآراء والأفكار فيما بينها بغية خلق ظروف أحسن للتكيف والإستمرار وإقامة المدنيات أو التعلق بأسمى الاعتبارات الروحية والمعنوية".

وتعاملا مع هذا التعريف فإن العمليات المقصودة هي تلك المنظمة في مفهوم نظرية الإتصال والعلاقة بين أطرافها الباعث والمستقبل وموضوع الرسالة وأدوات التواصل من لغة أو صورة أو إشارة، إلخ. ووسائل الإتصال خاصة المادة أو تلك التي تقتحم المنازل والمكاتب والآذان والأسماع والأبصار بدون سابق إستئذان إنها لاتستأنس ولاتسلم على أهل البيت ولاتأت بالضرورة من الأبواب وتدخل على الناس «حين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء»، هذه الوسائل التي أضحت تجمع العالم كله حول شاشة واحدة وتقرؤه صحيفة واحدة، وفي طريقه الي أن يقرأها في نفس الوقت إن شاء وهو مايتطلب من الباحثين في المجالات الإنسانية أن يعملوا جاهدين وبروح علمية عالية علي مساعدة الناس في ترتيب مواد هذه الوجبة العالمية وتحديد مايمكن لكل جهاز نفسي وثقافي هضمه والإستفادة منه. ومساعدة الإنسان فردا ومجتمعا" على النمو الشخصي والثقافي المتوازن لأن الإبتلاع القسري قد يؤدي إلي التخمة التي قد تكون المخمصة خير منها ولست من المنزعجين من الآخر ومعرفة ماعنده لأني لاأعبد ذاتي ولا أرى في الإنسان أيا كان إلا الخير إذ هو حامل الأمانة وباني الحضارة على الرغم من الإختلاف القيمي ذي المصادر المتعددة، ولست كذلك من القائلين بصرامة التشكيل المعرفي والثقافي وإنما من دعاة إدراك حقيقة الإنسان الكائن المتمنع على إستيعاب نفسه بنفسه ولعله العجز الذي يقود إلي التسليم والإيمان. وإذ كنت قد حددت مفهوما عاما للإعلام من حيث هو عمليات ووسائل تتكامل لتحقيق أهداف تبادل المعارف والإثراء للاستمرارية فإن حرية تعاطي الحقيقة واستقبالها قيمة اسنانية واخلاقية تخدم هذه الأهداف وتساعد على وضوح الرؤية والتفاهم الإنساني بين المجتمعات وتصالح الأجيال والثقافات وتنامي التطور المعرفي. وهي أمور تتطلب من محركي العملية الإعلامية صاحب الفكرة أو الرسالة والمستقبل ومساعدتهم من رجال التربية والتهذيب والإجتماع التحلي بمناقبيات الروح العلمية" إذ لاحب إلا للحقيقة ولاكراهية إلا للتعصب" رغم نسبية الحقيقة.

ثانيا : التغير: مفهوم - مجال - إتجاهات:

إذا أخذنا مدلول التغيير بالمعني اللفظي للكلمة فإنه يعنى الإنتقال من حالة إلى أخرى وإذا أسند إلي غيره يقع التحول على المسند إليه فيكون التغير الإجتماعي، أو الثقافي والإقتصادي أو السياسي. وحتى على مستوى السلوك، التغير في الإتجاهات والمواقف ومختلف الأحوال والأوضاع. وبالنظر إلي مداه يكون جزئيا أو شاملا أو جذريا أو بسيطا وبالنظر إلى مراحله تغييرا" تدريجيا" أو تغييرا سريعا" وبالنظر إلى فاعله تغييرا قصديا أو مخططا أو تغييرا مفاجئا تلقائيا الأول من فعل الإنسان والثاني من طبيعة الكون وبالنظر إلى اتجاهاته يكون التغيير سائرا إلى الأحسن أو الأنمى فيكون تغييرا في أتجاه التقدم أو سائرا إلى الأدنى أو الأرذل وفقا للمعايير التي تطرحها الأمم والشعوب فيكون التغير رجعيا أو قائدا إلى التقهقر أو الفساد وبالنسبة لنفس المعايير. وهكذا فإن التغيير سنة من سنن الله التي أودعها هذا العالم وهو ناموس مطرد في كل مناحي الحياة؟ والذي يهمنا منه في هذا المقام هو تلك التحولات التي تعرفها الأوضاع الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والتي تشكل عاملا من عوامل الإضطراب النفسي والثقافي وأحيانا عدم التوازن الثقافي أو التجاذب مع الأوضاع التي كانت تتسم بنوع من الإنسجام والإستمرارية ولأن هذا التجاذب قد يؤدي إلى بعض الصدمات أو إلى عرقلة اتجاه التغير أو مداه أو تحويله إلى مجرى غير مقصود أو غير صالح للناس. فإن الإهتمام بتشخيص الأوضاع التي كان عليها ذلك الواقع والعوامل التي أدت وتؤدي إلى التغير ومضاعفات ذلك التغير لتحديد آليات التكيف وتجديد أجهزته أضحى ضرورة من ضرورات التنمية

الثقافية أو الإجتماعية بصفه عامة. وهو أحد بواعث كتابتنا لهذا "الموضوع" الذي نرمي من ورائه إلي المساهمة في إستنهاض الإرادات الباحثة عن الرقي الحضاري المنسجم والمستمر ذلك الرقي الذي يتوكأ على تكامل الحلقات وانسجام الماضي مع الحاضر لرسم ملامح المستقبل المنشود ولئن كانت الثقافة هي مجال التغير الذي نتحدث عنه هنا فإنه ينبغي لنا أن نحدد مفهوم الثقافة الذي نقصده في هذا الصدد.

ثالثا: الثقافة (المفهوم، الخصائص، الثوابت، المتغيرات).

المفهوم اللغوي للثقافة من ثقف الرجل إذا حذق الأشياء وفهمها فهما جيدا و صار ذا فطنة وذ كاء وثبات معرفة. أو حتى لو أخذنا مدلولها الخاص بتنمية بعض الملكات العقلية أو تسويه بعض الوظائف البديئة فإن هذين المدلولين. لايكفيان لمقصدنا في هذا التحليل فالمهموم الذي نتعامل معه هنا هو الثقافة بمعنى "طريقة أي مجتمع في الحياة" بما تشمله طرق المجتمعات المختلفة من وسائل وأدوات لتسخير الطبيعة وبمعنى آخر هي ذلك الكل من الوسائل والادوات والعادات والاعراف والقوانين والقيم الأخلاقية والروحية والإنتجات المادية والروحية وأساليب التنظيم الإجتماعي الذي يسود في مجتمع معين ويشكل ملامح مشتركة تميزه نسبيا عن غيره من المجتمعات وتستمر هذه الملامح علي نمط من الإستقرارا النسبي الذي يسمح للملاحظين والدارسين بتحديد مستويات التغير وأنماطه الشيئ الذي جعل البعض يتحدث عما يعرف بالثوابت والمتغيرات في الثقافة أي ثقافة. وهو مايعني أنه إذا كانت خصائص أي ثقافة يمكن أن تستخلص من المقاربة أعلاه: هي : الشمول، والإستمراية، والتكون الندريجي، والنسبية، والتغيير الدائم، وإنها تهدفا دائما إلى التكيف مع الطبيعة بمعانيها المختلفة. فإن هناك إعتقاد بأن لكل أمة أو مجتمع أو مدنية نمطا ثقافيا معينا وهذا التعيين يتأتى من أن هناك ثوابت أي أسس وخصائص عامة لاتبدوا محسوسة والتغير بحكم مستوى التعقيد أو الرسوخ في البنيان الكلي للجهاز الثقافي الذاتي للمجتمع وبحكم العلاقة بالمحيط. وبحكم الشعور بالذات الحضارية المتميزة وهذه المستويات بالنسبة لنا نحن الموريتانيين هي: العقيدة الدينية بعمومياتها واللغة وغيرهما من المظاهر الثقافية ويقابل هذه الثوابت الكثيرة من المعطيات الثقافية التي تتغيير بسرعة وتخفي وتظهر أخرى تحل محلها فالملحفة والدراعة، والحفاوة بالضيف والتعاون علي مختلف النائبات والدلالات الثقافية على المكانة في المجتمع الموريتاني البدوي والقروي التقليدي مظاهر مازالت معاشة ولكن مضامينها بدأت تتغير وفي طريقها إلي الإضمحلال. ولكن هل للإعلام من دور فاعل في تغيير هذه الثقافة؟ وكيف يستطيع المجتمع تجنب تلك الاهتزازات الناجمة عن ذلك التغير

رابعا خلاصة عن العلاقة بين الإعلام والتغير الثقافي.

إن تأثير المعارف المتبادلة بوسائط الإتصال المختلفة على ثقافات الأمم والشعوب تأثيرا بارزا تتجلى مظاهره في التبدلات السريعة في المواقف والآراء والقيم وطرق الإنتاج وأساليب التكيف والتفاعل مع المحيط الخارجي وهي أمور تتخذ أشكالا مزدوجة الاتجاهات فهي موجبة؟ وضرورية لإثراء الأساليب وامتلاك تجارب الآخرين في الحياة وتجاوز الجمود والإنغلاق على الذات والدفع إلى الحداثة والتجديد والعصرنة والدخول في العبقرية الكلية للإنسان الكلي الكوني الذي يعبر عن نفسه بما نسميه حضارة الإنسان. وهي في نفس الوقت عوامل مساعدة على الاحتواء والهيمنة الحضارية وتغلب قيم الأقوياء بوسائلهم وطمس خصائص الآخرين، وتعريض أجهزتهم الثقافية إلي الإهتزاز العنيف والتغير العشوائي الذي يؤدي إلي المسخ والإنحلال الخلقي، إن الانسان الموريتاني علي وجه الخصوص وجد نفسه في السنوات الأخيرة في قلب العالم في حين كان وإلي قريب أقرب مايكون إلى السجين في محيطه الضيق اللهم إلا ماكان من بعض الإذاعات أما وقد أصبحت أشكال وثقافات الشعوب من

مختلف بقاع العالم تدخل إليه ويراها نهارا جهارا ويسمعها ويقرؤها، وبحكم ميله إلى النظر الخارجي أضحى الأنتاج المحلي للأفكار والأشياء بضاعة غير مرغوبة عند عدد يتزايد من ضحايا الألينة، فكثيرة تلك المشادات التي توجد حول الشاشة الصغيرة بين مشاهدي التلفزة الوطنية ومشاهدي القنوات الأخرى، صحيح أن الإمكانات البشرية والمادية والتجارب المتوفرة لدى تلك القنوات لاتمكن مقارنتها مع ماعندنا ولكن وسيلة التكيف والتطور الأساسية هي إدراك الذات والذات الموريتانية لن تدرك إلا من خلال استيعاب، الواقع المحلي الذي لاتتوقع ان يهتم به غيرنا. فما فائدة أن نمضي وقتا طويلا في مشاهدة فلم إجتماعي يحكي بعض التجارب الإجتماعية لدول أخري قد يشابه ذلك الواقع واقعنا ولكنه على أية حال ليس هو. وكذلك فإن مشاهدة فلم بليسي يصف أنماطا من متابعة المجرمين في دول مختلف الأساليب والأنظمة القانونية والأخلاقية. وهذا لايعني أنه لاتوجد أمور مفيدة، إلا أن الأمر بتطلب القدرة: أولا على التميز وثانيا القدرة على الإلتزام بالاصلح وثالثا الشك المنهجي في كل الأمور مالم تصمد أمام معايير يتم التواضع عليها في كل مجتمع أو التراضي عليها من مشمولات الثقافة.

وهكذا فإن العلاقة بين الإعلام والتغير الثقافي علاقة سببية في الاعلام بمختلف معانيه أداة التغير والتغيير الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

منوعات • منوعات •منوعات • منوعات • منوعات • منوعات • منوعات • منوعات •

عن أبي داوود والترمذي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال قال :رسول الله صلي الله عليه وسلم "لايبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن اخرج وأنا سليم الصدر".

قال معاوية بن ابي سفيان لصعصعة بن صحوان صف لي عمر بن الخطاب فقال: كان عالما برعيته، عادلا في قضيته، خاليا من الكبر، قبولا للعذر، سهل الحجاب، مصون البار، متحريا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقريب ولاجاف للغريب".

قال خليل رحمه الله: الرجال اربعة: رجل يدري ويدري أنه يدرى فذلك العالم تسألوه، ورجل يدري ولايدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه ورجل لايدري ويدري أنه لايدري فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لايدري ولايدري أنه لايدري فذلك الاحمق فارفضوه.

وقال المامون الرجال ثلاثة: رجل كالغذاء لايستغى عنه، ورجل كالدواء يحتاج اليه حينا، ورجل كالداء لايحتاج اليه ابدا.

قيل الحكمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان.